صعلكة فى بيروت ٧١..

حسين قدرى

الطبعة الثانية
الكتاب : صعلكة فى بيروت
المؤلف : حسين قدري
تصنيف الكتاب : أدب رحلات
تصميم الغلاف : محمد عطية
المقاس : ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ؟؟؟؟ / ٢٠١٥
الترقيم الدولي : ? – ??? – 776 – 977 – 978

دار يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع
طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم
المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت -محطة المطبعة
شارع الملك فيصل - الجيزة
جمهورية مصر العربية
٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
تصميم و إخراج : أحمد عبد الحليم
رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهداء ..

إليها .. التى أهديها كل كتبى ..

حسين قدرى

تقديم
بقلم الكاتب الكبير
محمد جبريل

حسين قدرى .. والجميلة بيروت ..

لعل القيمة الأهم لهذا الكتاب أنه تعبير حقيقى عن المشهد العربى – والمشهد اللبنانى بخاصة – خلال ما يقرب من الخمسة والثلاثين عاماً ..

زرت بيروت فى الأعوام الأولى للحرب الأهلية ، الدعوة كانت من الحكومة اللبنانية التى كان يرأسها – آنذاك – السيد " سليم الحص " .. أمضيت حوالى الشهر فى التعرف إلى ما كانت الدولة

اللبنانية تظنه عودة إلى الإستقرار بعد حرب أهلية قاسية قتل فيها الآلاف لبواعث سياسية ودينية ، وشخصية فى معظم الأحيـــان .. كانت بطاقة الأحوال المدنية هى جواز العبور إلى الأمان ، أو إلى النهاية المأساوية ..

كانت زيارتى فى عام ١٩٧٦ .. سبقتها بخمس سنوات رحلـــة حسين قدرى فى صيف ١٩٧١ .. لم تكن نذر الحرب قد لاحت فى أفق الحياة اللبنانية ، ولا تبدى الخطر على أى نحو .. كـــل شـــئ جميل ، ونظيف ، ومغسول ، حتى الريف اللبنانى بدا – فى عينىّ الكاتب – مختلفاً عن ريفنا المصرى فى الكثير من المقومات التى تعنى الحياة الأفضل ..

ألف حسين قدرى السفر وشد الرحال إلى بلاد الله خلـــق الله ، وحفزته نصائح أصدقاء يشاركونه حب السفر ، أن يزور لبنـــان ، فسيجد فيها ما لم يجده فى بلاد ومدن أخرى أتيح له زيارتها ..

إختار حسين قدرى لرحلته البيروتية شكل اليوميـــات .. فهـــو يروى أحداث كل يوم فى نهايته ، بحيث تكررت بعض المعلومات أكثر من مرة ..

فضل الكاتب منذ البداية – كما صارح قارئه – أن يلامس القاع فى رحلته .. لا شأن له بفنادق النجـــوم الخمســـة ، ولا الأمـــاكن المرفهة .. شغلـــه الســـؤال : كيف يحيا المواطن العادى !؟ ..

لكن المحاولة إمتدت ، فجاوزت مجرد التعرف إلى البسطاء من أبناء لبنان ؛ وإنما واجهه الواقع القاسى الذى كان يعانيـــه – فـــى الفترة نفسها – عشرات ، وربما مئات المواطنين المصريين ، ممن رحلوا عن بلادهم ، بحثاً عن فرصة عمـــل ، بدايـــة – ربمـــا – لظاهرة الهجرة التى غيرت من صورة المجتمع المصرى ، فهو لم يعد قرارياً ، ولا أن (البطيخة ماتكبرشى إلا فى لبشتها) ؛ خرج الآلاف من ذوى الكفاءات ، ومن لا يملكون غير قوة ســـواعدهم ، سعياً لظروف معيشية أفضل .. إلتقى بهم الكاتب فى فنادق أشـــبه بلوكاندات سيدنا الحسين وميدان العتبة وباب الخلق وشارع النصر بالإسكندرية ولوكاندات مدن الأقاليم .. تعرف إلى الظروف التـــى دعت إلى السفر ، ودفعت للحرص على الإقامة ..

ثمة الكثير من الأسماء المصرية تتناثر عبر الصفحات : ليلـــى رستم ، هالة فاخر ، على جمال الدين ، أمير الصـــريف ، زبيـــدة ثروت ، آمال فهمى ، عادل هيكل ، ليلى صالح ، فتحى الإبيارى ، نفيسة عابد ، وغيرهم .. لكن الجانب المظلم من الصـــورة هـــو

الأوضاع القاسية التى كان يعيشها المصريون العاديون خارج وطنهم : فتيات يسافرن للعمل خادمات ، ثم يتحولن – بالإغواء ، أو بالقهر – إلى مومسات ، وشبان يضطرون لقبول أى عمل ، أعداد هائلة من المصريين ، نقلت الإحساس للكاتب بأنه يعيش فى القاهرة !! ..

العنوان العريض الذى كتب حسين قدرى تحته يومياته ، أو فصول رحلته ، هو الحرية ، الحرية بلا آفاق : وضع المرأة – كم إستوقفت اللبنانيات عينىّ حسين قدرى اللتين كأنهما خلقتا للبحث عن الجمال !! – الصحافة ، أفلام السينما ، سرعة السيارات ، الآراء والملاحظات التى تبلغ حد الشتم ، وإن كانت المذيعة المصرية ليلى رستم قد فقدت وظيفتها ثمناً لهذه الحرية ، حين إستضافت فى برنامج لها النائبة " علياء الصلح " عضو مجلس النواب ، فوصفت المجلس الذى تنتمى إليه بأنه (زريبة) !! ..

أشهد أننى عجبت لظاهرة الملصقات التى لفتت إنتباه حسين قدرى ، ووجدت فيها تعبيراً عن الحرية .. لكن الكلمات والشعارات تباينت خلال السنوات الخمس التى فصلت بين رحلته وزيارتى .. تحولت الملصقات إلى معارك صامتة بين عشرات الأحزاب والمنظمات وحركات المقاومة ، كل يدعو لنفسه ويهاجم

الآخرين .. إستفزنى ما رأيته فضمنته قصة قصيرة لـــى .. أمـــا ملصقات الإعلان عن الوفيات على جدران البنايات ؛ فلعلى أذكر أنها – حتى الآن – جزء من الحياة السكندرية ، على الرغم مـــن وسائل الحياة المتطورة ، هى مثل التقليد الذى نحرص عليه ، حتى لو لم يعد له ضرورة !! ..

الطريف أن كل ما طالع حسين قدرى فى بيروت ، باعتبـــاره مختلفاً ، هو الآن بعض حياتنا اليومية ، كرجال الأمن فى البنايات السكنية ، وعربات السيرفيس ، ومحال الصرافة ، وألعاب الفيديو ، وغيرها ..

ما بين الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، والطبعة الثانية التى بين يديك الآن ؛ حدث ما أتاحت لى الظروف أن أتعرف على بداياته ، ثم تصاعدت الأمور ، فلم يعد لبنان هو البلد المثل للتقدم والتطور والجمال .. أذكر أن تقريراً للأمم المتحدة أشـــار – فـــى أوائـــل الستينيات – إلى أن بيروت هى أكثر مدن العالم العربى تمديناً .. تبدلت الصورة بفعل فاعل ، وإن يظل الأمل قائماً – من خـــــلال إستقراء حسين قدرى ، وتوقع الكثيرون الذين يـــدركون طبيعـــة الشعب اللبنانى جيداً – أن يعود كل شئ إلى صـــورته الأولـــى ، الحقيقية ..

عنى حسين قدرى برسم الملامح جيداً ، وبالتقاط الجزئيات التى لا تراها ربما النظرة العابرة .. أنت تطوى الكتاب – بعد قرائته – وقد إستقرت فى وجدانك بانوراما متكاملة للحيـــاة اللبنانيـــة ، أو البيروتية تحديداً ..

محـــمد جـــبريل

مقدمة
الطبعة
الأولى ..

بيروت .. عاصمة المرح والأنس والفرفشة والدلع فى العـــالم العربى .. العاصمة التى يكتب الأطباء إسمها فى روشتاتهم كعلاج للإكتئاب والنكد .. يذهب الواحد منا إلى بيروت لكى ينسى همومه ويتركها على شواطئها وعلى مقاهى وكازينوهات وملاهى شارع الحمراء .. المدينة التى تصل الليل بالنهار بهجة دائمة وانطلاقـــاً وحرية وتحرر ..

ذهبت إلى بيروت عشرات المرات من قبل ؛ لكننى كنت دائماً أراها من أعلى .. أجازات ، أو مهمات ، سريعة مرحـــة لا أرى

فيها غير الجانب والوجه المشرق لبيروت .. فماذا عــن الوجــه ألاخر ، الوجه العادى الذى مفروض أن تراه لو كنت مقيماً .. هذه هى بيروت التى سأراها هذه المرة .. بيروت من القاع ....

حسين قدرى

بيروت – صيف ١٩٧١

مقدمة

الطبعة

الثانية ..

..... ثم .. جرت مياه كثيرة تحت الجسر كما يقولون .. ولم تعد بيروت هى بيروت .. لم تعد بيروت الآمنة الوادعة المرحة الدلوعة التى تذيب الأحزان ؛ كما كانت حتى منتصف السبعينات .. إختلفت بيروت ١٨٠ درجة .. غرقت هى فى الأحزان : قامت فيها الحرب الأهلية بين الأشقاء أجنحة وطوائف وفئات الشعب اللبنانى ؛ وطمعت فيها دولة عربية " شقيقة " فالتهمتها ؛ ثم جاءت إسرائيل لكى تكمل المشوار الذى بدأه الأبناء والأشقاء والأصدقاء ؛ فأصبحت بيروت ولبنان كلها (ملطشة) كلما عن لإسرائيل أن تستعرض عضلاتها على دول الجوار من باب (إضرب المربوط يخاف السايب) ؛ فراحت

بين حين وآخر تضرب المربوط ، بيروت ، ثم لبنان كلها .. وأصبحت بيروت ولبنان كالوردة الجميلة التى قطفها الأصدقاء والأعداء معاً ورموها على الأرض وداسوها بالأقدام .. أصبحت بيروت الجميلة مجرد (ذكرى جميلة) ..

وحين طلب منى إعادة نشر هذا الكتاب فى طبعة جديدة عام ٢٠٠٨ ، وراجعت الكتاب قبل نشره ؛ وجدت أن بيروت التى يتحدث عنها الكتاب ليست هى بيروت التى يراها الجميع الآن .. فعدلت عن إعادة نشره .. لكن الأصدقاء الذين قرأوا الكتاب فى طبعته الأولى وقبلها عندما نشر مسلسلاً على حلقات فى مجلة (الإذاعة والتليفزيون) فى أواخر عام ١٩٧١ تحت عنوان (صعلكة فى بيروت) ؛ أشاروا بأن ينشر الكتاب كما كتبته تماماً عام ١٩٧١ .. لكى يرى القراء الشباب الجدد (كيف كانت) بيروت عام ٧١ ، ولكى (يتذكر) القراء القدامى كيف كانت بيروت عام ٧١ ..

واقتنعت برأى الأصدقاء .. وهذا هو (بيروت ٧١) بين يديك الآن ، وفى القلب غصة وفى العين دمعة ..

حسين قدرى

لندن – مايو ٢٠٠٨

قاع المدينة ..

شأن علية

القوم – بتوع زمان – الذين كانوا يقضون الصيف فى باريس والشتاء فى أثينا ولا يجيئون إلى مصر إلا كل خميس وجمعة ؛ قررت أن أقضى أجازتى هذا العام فى لبنان .. ولم يمانع رئيس التحرير على اعتبار أننى قلت له أننى سأسافر بالبحر ؛ فقد كان يعرف أن البحر هائج اليومين دول وربنا يسهل و ..... !! ..

وبما أننى طول عمرى رجل أحب أن أتبع النظم والقوانين ؛ فقد تقدمت للجهات المسئولة أطلب السماح لى بقدر من العملة الصعبة يكفى للفترة التى أنوى أن اقضيها فى لبنان .. وفى وزارتى الخزانة والإقتصاد إجتمعت لجان وانفضت لجان ؛ وبعد البحث والتدبير وطول التفكير تقرر منحى ٢٥٣ ليرة لبنانية .. ليه ٢٥٣ بالتحديد !؟ .. يعنى ليه مش ٢٥٠ بس أو ٢٥٥ !؟ .. مااعرفش

.. لعل لهم فى ذلك حكمة فلم اشأ أن أتدخل فى لوغاريتماتهم .. لكننى كنت متأكداً أن هذه اللجان قد راعت أن الصحفيين أحباب الله وأن لهم خاطر عند الدولة ، وأن الصحفى حين يكون فى الخارج ، فإنما هو – بمظهره – يمثل بلاده ويعبر عنها ؛ لذا – ولأننى لم أكن أعرف سعر الليرة اللبنانى بالنسبة للجنية المصرى – فقد إعتبرت أن وزارتى الإقتصاد والخزانة قدرتا أن هذا المبلغ كاف جداً لكى أنزل فى هيلتون بيروت ، وأفطر فى فندق الـ (فاندوم) وأتغدى فى الـ (سان جورج) وأتعشى فى الـ (فينيسيا) ، وأقضى فترة الأجازة رافعاً رأس مصر فى العلالى ..

صديقة صحفية لبنانية كانت تزور القاهرة فى تلك الاثناء ، وقلت لها ذلك ليلتها متباهياً بما تقدم الدولة عندنا من تسهيلات للصحفيين المصريين .. فنظرت إلىّ نظرة طويلة ترجمتها باللغة العربية " يا ساذج " ثم أشفعت نظرتها هذه بأن قالت لى بهدوء : " الـ ٢٥٣ ليرة بتوعك دول يادوب يكفوك تنزل فى لوكاندة سيدنا الحسين الكبرى أو الكوكب الزينبى فى بيروت ، وتفطر حمص الشام وتتغدى صاندوتش شارومة وما تتعشاش .. يعنى بالعربى الـ ٢٥٣ ليرة بتوعك دول يعيشوك هناك فترة الأجازة : صعلوك !! .. "

وغضبت

للحظة ،

ثم فى اللحظة التالية مباشرة لمعت فى ذهنى الفكرة : فعلاً .. لماذا لا أجرب حياة الصعلكة ، ولو لأسبوعين فقط .. إننا الصحفيون – عادة – حين نسافر إلى خارج مصر فى مهام صحفية تكون فترة إقامتنا فى الخارج مغطاة تغطية كاملة بشكل مرضى جدا ، إما ببدل سفر مناسب أو باستضافة محترمة وبرنامج زيارات ولقاءات موضوعة ومرتبة مقدماً ، وغالبا سيارة فاخرة بسائق بيونيفورم وكاب تحت تصرفنا للإنتقالات الداخلية ، وعزومات وحفلات واستقبالات ودعوات ، وناس يستقبلونا فى المطار وناس يودعونا فى الميناء ، وهكذا .. يعنى باختصار أننا غالبا لا نرى من أى دولة نزروها سوى الوجه الجميل الذى يريدون هم أن نراه .. فلماذا ؛ وانا مسافر هذه المرة فى أجازة على حسابى و(متخفى) ؛ لماذا لا أجرب أن أعيش هذه الفترة فى بيروت فى قاع المدينة .. أجرب حياة الصعلكة فعلاً ، بلا برنامج محدد ولا خطة مرتبة متفق عليها ، وأترك نفسى لشوارع بيروت وأيضاً لانفعالاتى وانطباعاتى ، وأعتبر أننى أزور بيروت لأول مرة ، فأراها بعينى الزائر الجديد تماماً المحدود الإمكانيات ..

خصوصاً وأن بيروت فى الأعوام القليلة الماضية قد أصبحت (فركة كعب) بالنسبة للكثير من المصريين ، خصوصاً فئتين بالذات : الطلبة الحاصلين على الثانوية العامة الذين لم يجبر بخاطرهم مكتب التنسيق فلم يلحقوا حتى بقطار المرحلة الثالثة ، فيذهبون إلى بيروت للالتحاق بجامعاتها ، وتجار الشنطة !! ..

على ظهر السفينة

تعرفت بمجموعة من المصريين الذين فهمت من كلامهم أنهم متخصصون فى بيروت ويعرفونها شبراً شبراً .. قالوا لى : " بس ماتحملش هم إنت .. حاننزلك فى هيلتون بيروت ومش حاتدفع كتير " .. ثم إتضح أن كل معلوماتهم عن الهيلتون أن هناك لوكاندة فى سيدنا الحسين فى القاهرة إسمها هيلتون برضه ، سعر الغرفة فيها عشرة قروش فى الليلة ، وأظن أن هذا المبلغ للإقامة الكاملة أيضاً !! .. فقد أخذونى معهم إلى (ساحة البرج) : ميدان متسع كبير يشبه إلى حد بعيد ميدان العتبة الخضراء فى القاهرة أو ميدان المنشية فى الإسكندرية ، سواء فى الشكل أو فى المستوى .. فساحة البرج – و(ساحة) يعنى ميدان بلغة إخواننا اللبنانيين –

هى قلب بيروت التجارى الشعبى .. لها فعلا ملامح حى المنشـــية فى الإسكندرية ومزيج من العتبة وشارع الأزهر وشارع الموسكى فى القاهرة .. ويكفى أن تعلم أن لوكاندات ساحة البـــرج يتـــرواح سعر السرير فيها بين ليرة ونصف كحد أدنى و٧ ليـــرات كحـــد أقصى – فى الليلة الواحدة طبعاً – وليس فى لوكانداتها كلها غرفة بسرير واحد .. فى الوقت الذى يصل فيه سعر الغرفة بسرير واحد فى لوكاندات شارع الحمراء والرملة البيضاء وميدان الحصـــن ؛ وهى المناطق التى توازى عندنا فى القاهرة شوارع قصر النيـــل وسليمان باشا والزمالك ؛ إلى ٦٨ ليرة !! .. ومادمت قد وصـــلت إلى بيـــروت فضـــع فى إعتبارك أن الجنية المصرى يســـاوى ٤ ليرات .. وإحسبها انت !! ..

ماأجمل بلدنا وما أرخصها : قبل حضورى إلى بيروت قضيت عدة أيام فى الإسكندرية .. نزلت فى لوكاندة على البحر فى محطة الرمل – أهم وأجمل ميادين الإسكندرية – فى غرفة شديدة النظافة والأناقة والشياكة تطل على البحر مباشرة ، وفيها دولابين للملابس وحمام خاص أنيق ، وأدفع فى ذلك كله ٧٥ قرشاً .. هنـــا – فـــى المنطقة الشعبية جداً فى بيروت – كل خـــرم إبـــرة عملوه لوكاندة غير مجهزة ولا معدة ولا صالحة لاستقبال النزلاء .. ومن لوكاندة

(ريان) إلى لوكاندة (بيروت الكبرى) يا قلبى لا تحزن : أدفع ٤ ليرات – جنيهاً مصرياً كاملاً – فى سرير واحد فى غرفة فيها ٣ سراير ، يعنى إيجار الغرفة فى الليلة ٣ جنيهات ، ومع ذلك فليس فى الغرفة شماعة أعلق عليها ملابسى ، وليس فيها دولاب ولا كومودينو ولا حتى كرسى خيرزان ولا حاجة أبداً إلا السراير فقط .. لما سألت عن شماعة جاء صاحب اللوكاندة بنفسه ليدق لى مسمارين فى باب الغرفة الخشبى من الداخل و: " إتفضل .. علق ملابسك زى ما انت عايز " .. وحتى فرش السراير نفسها ليس متوفراً .. مجموعة من المصريين تقيم فى نفس الفندق : " رجاء " و" كاميليا " طلبتا بطاطين فقال لهما صاحب اللوكاندة ببرود : " ماعندناش .. ناموا كده بهدومكم " .. الغرف التى كان يقيم فيها " لطفى " و" فتحى " و" الأسيوطى " و" رجاء " و" كاميليا " كانت فى الأصل دورات مياه وحمامات ثم نزعت منها الأدوات الصحية لتتحول إلى غرف نوم مازالت جدرانها مغطاه بالقيشانى الأبيض .. ومع ذلك فأجر السرير فيها بين جنيه مصرى كامل و ١٧٥ قرشا !! ..

إذا لم يكن هذا هو قاع المدينة فعلاً فكيف يكون إذن !؟ .. أنسب مكان أستطيع منه أن امارس صعلكتى فى بيروت ..

الظاهرة الواضحة

بشدة التى تلفت النظر فى كل شبر فى شوارع بيروت هى أحدث الأزياء والموضات والتقاليع المستوردة على أجسام جميلة متناسقة ورشيقة تجرى بسرعة فى شوارع بيروت .. الفتاة فى بيروت رشيقة القد نحيفة القوام صغيرة الحجم مثل القلم الحبر الصينى أبو عشرة صاغ .. لا أتصور أن واحدة منهن يصل وزنها إلى ٤٠ كيلو .. المينى جوب والميكرو جوب هنا عاديان جداً ، كل البنات والفتيات ترتديهما ولا تلفت أنظار احد بالدهشة أو الإستغراب .. والبنت اللبنانية فى تقديرى ليست جميلة الوجه بقدر ما هى صحيحة الجسم نضرة نشطة شديدة الأناقة ورشيقة إلى الحد الذى يجعل المينى والميكروجوب يبدوان وكأنهما أبتكرا خصيصاً من أجلها .. حتى تلميذات بيروت ساعة خروج المدارس يرتدين أحدث الأزياء وأقصر ميكروجوب ممكن دون أن ترفدهن أبلة الناظرة أو تطلب حضور أولياء امورهن .. لم أر زياً رسمياً ولا يونيفورم أو مريلة مدرسة إلا على التلميذات الصغيرات جداً – ٨ سنوات وأقل – لكن التلميذات الأكبر من ذلك فواضح من شكلهن ومظهرهن أنهن .. مجتهدات جدا !! ..

التاكسيات

هـنـــا

لـــعـــبـــة ظريفة جداً لم أنتبه إلى قواعدها إلا بعـــد أن خســـرت فيها ربع ميزانيتى المتواضعة .. ففى مصر عنـــدنا إلـــى جانـــب التاكسيات أوتوبيسات وتروللى باص ومترو وحنطور وترام سريع وترام بطئ وترام لا هو سريع ولا بطئ ؛ أما فى بيروت فلا يوجد إلى جانب التاكسيات غير الأوتوبيس فقط .. فقد إنتهى عهد الترام تماماً فى بيروت منذ نحو ٦ أو ٧ سنوات ، ألغـــى وحـــل محلـــة الأوتوبيس الذى لم يكن موجودا علـــى أيـــام التـــرام .. تـــذكرة الأوتوبيس هنا ثمنها ١٥ قرشاً لبنانياً – نحو ٣.٥ قروش مصرية – درجة موحدة ليس فيها أولى وثانية ، لكن خطوطه وامتداداتـــه محدودة إلى حدٍ ما .. لذا فالتاكسى هو ســـيد الموقـــف الآن فـــى بيروت .. لكن كما قلت لك إذا لم تكن تعرف قواعد لعبة التاكسى فستتكلف كثيراً حتى تتعلمها .. التاكسى هنا نوعان : نوع تاكسى عادى زى عندنا لكن بدون عداد .. بتسعيرة مفروض أنها ثابتـــة موحدة : المشوار من أى مكان إلى أى مكان فى بيـــروت بليـــرة ونصف فقط – نحو ٣٨ قرشاً مصرياً – لكن هـــذه التسعـــيرة الموحـــدة الثابتـــة بالنسبة لإخـــوانـــا اللبنانيين أهـــل البلد فقـــط

؛ فـــاذا إكتشف (الشوفير) أو السائق أنك غير لبنانى فقد إتفقدت والحمد لله .. المشوار أبو ليرة ونصف سيحاسبك عليـــة بـــثلاث ليرات .. وهنا لن تســـتطيع أن تهـــوش الســـائق أو تخضـــه لأن عسكرى المرور غالباً ما سيقف فى صف السائق .. إلا اذا كنـــت قد ساومته واتفقت معه فعلاً قبل أن تفتح باب التاكسى وتضع قدمك فى داخله .. هـــذا نوع ؛ النوع الآخر من التاكسيات يطلق عليـــه إسم (السيرفيس) وهو يعمل بالنفر ويسير فى خطوط محـــددة .. مثلاً تاكسى يعمل من ساحة الشهداء أو ساحة البرج حتـــى حـــى الحمراء أو حى الرملة البيضاء أو رأس بيروت ، وهكذا .. وهذا تركبه أنت مع أى أربعة ركاب آخرين يكونون قد ركبوا قبلـــك أو بعدك ؛ بربع ليرة للفرد الواحد فى المشوار كلـــه .. وتاكســـيات (السيرفيس) هذه لها محطات بداية محددة معروفة فى كل ميـــدان كبير .. أو قد يتمهل إلى جانبك فى الشارع لتسأل الســـائق عـــن وجهته ، فإذا كانت هى نفس وجهتك تركب ..

لم أكتشف لعبة (السيرفيس) هذه ولم أعـــرف محطاتهـــا إلا متأخراً بعد أن إتخرب بيتى فى التاكسيات العادية ، وكنـــت أدفـــع أحيانا أكثر من جنيهين مصريين فى اليوم الواحد ..

وسائقو التاكسيات هنا رغايين رغى ، أكثر من الحلاقين عندنا فى مصر .. يرغى معك السائق ويحكى لك قصة حياته وأدق أسراره الخصوصية والشخصية والعائلية ، ويحكى لك عن الفتاة التى يحبها ويخون (مرته) – زوجته – معها ويصفها لك بأدق التفاصيل التى لاتقال إلا لصديق أكثر من حميم ، ويقول لك إسمها وعنوانها أيضاً إذا بدا عليك أنك لم تصدقه .. فتظن أنه قد أصبح صاحبك الحميم وسيزورك فى مصر قريباً بإذن الله علشان تكملوا الحكى وتعتقد أنه لن يطالبك بالحساب ؛ ولكنك تفاجأ به بعد هذا كله يدبحك ويضاعف الأجر عليك ؛ والمشوار اللى بليرة ونصف يحاسبك عليه بثلاثة ليرات .. فاذا – بحكم الخجل المصرى – حاولت أن تدعى أنك ليس معك فكة غير ٢ ليرة بس ، قال لك وعلى وجهه تكشيرة عريضة : " بافك لك ألف ليرة خيى " !! ..

مـــن

الــذى

قـــال أن بيروت رخيصة !؟ .. بيروت ليس رخيصة إلى الحد الذى يتصوره البعض .. الإقتصاد الحر تماماً وانفراد القطاع الخاص تماماً بالمنافسة التجارية جعلت كل شئ موجود ده صحيح ، مستورد ده صحيح ، تشطيبه أحسن وإتقانه أفضل ده صحيح ؛

لكنك تجد نفس الأشياء ونفس الأصناف فى شارع الشوارىى وعلى أرصفة شوارع الإسكندرية بنفس الأسعار تقريباً أو أكثر قليلاً إذا وضعت فى اعتبارك فرق العملة وفرق السفر والشحططة والنقل والشيل والجمارك وما إلى ذلك .. لكن الناس فى مصر يتصورون أن البضائع فى بيروت مرمية فى الشوراع ببلاش لا تجد فقط من يتكرم بحملها إلى القاهرة .. تشهد بذلك قائمة الطلبات التى فى جيبى .. قريبة لي أعطتنى كشفاً به ٢٠ نوعاً من الطلبات : كسوة الشتاء كلها تريدها من بيروت : " مادام إنت رايح بيروت .. بس إوعى أكون حا اتعبك !؟ " .. " لا العفو " .. قريبة أخرى طلبت منى أن أشترى لها جهاز إبنتها العروس من بيروت ، ودست فى يدى خمسة جنيهات : " وإذا إحتاج الأمر كام جنيه كمان كمل من معاك ولما تيجى نتحاسب " !! ..

الشراب الرجالى العادى جداً هنا بـ ١٢٥ قرشاً مصرياً ، الكرافته مثله ، أقل جزمة رجالى أو حريمى بخمسة جنيهات ، القميص العادى البسيط بأربعة جنيهات ، والأصناف الأفخر قليلاً بثمانية جنيهات – ٣٢ ليرة – البدلة الرجالى ب ١٢٠ ليرة أو نحو ٣٠ جنيهاً مصرياً .. البنطلونات البناتى أو الحريمى بعشرة جنيهات مصرية .. أغلب الأشياء هنا غالية جداً وولعة نار .. حتى

المكالمات التليفونية إذا تكلمتها من محل أو دكان فى الشارع فستدفع فيها ربع ليرة أو أكثر من ستة قروش مصرية ..

الرخيص هنا حقيقة هو الفاكهة ، وحتى ليست الفاكهة عموماً إنما الفاكهة اللبنانية فقط : التفاح والعنب .. التفاح الكيلو فى مصر ثمنه بين ٨٠ و ١٢٠ قرشاً وفى لبنان هو أرخص أنواع الفاكهة على الإطلاق ، فثمنه لا يزيد على الإطلاق – بالمصرى – عن ١٢ قرشاً .. والعنب اللبنانى فاخر صحيح وممتاز لكن سعره هنا هو ضعف سعره فى القاهرة . وباقى أنواع الفاكهة غالية لأنها مستوردة .. المانجو تصل إليهم من مصر .. البلح الزغلول يصل إليهم من مصر ، حتى الموز أيضاً .. يأخذه إليهم تجار الشنطة والمسافرون القادمون من مصر .. وعلى الميناء تلاقى ناس ييجوا يسألوك – مهما كان شكلك محترم ، لكن مادام معاك شنطة وجاى من مصر تبقى غالباً تاجر شنطة – يسألونك : " معاك مانجة !؟ " .. الملابس أسعارها نسبياً مش رخيصة .. هناك أشياء فى مستوى أسعار القاهرة ، وحاجات أكثر وحاجات أقل ، لكن الأسعار بشكل عام أغلى من القاهرة .. الرخيص هنا فعلاً هو الأدوات الكهربائية والأجهزة الإلكترونية كالثلاجات والغسالات والمكاوى الكهربائية

وأجهزة الراديو والتسجيل والبيك آب وعدد التليفونات الملونة وماكينات الخياطة وآلات التريكو وما اليها ..

نكتة أو تشنيعة سمعتها هنا عن عدم وجود قطاع عام فى لبنان .. تقول النكتة أن كل شئ فى لبنان قطاع خاص ، ناقص مجلس الوزراء هو كمان يبقى قطاع خاص !! ..

طبيعى

أن يبحث

الصحفى المصرى أينما ذهب عن مواطنيه المصريين الذين يعملون ويعيشون فى البلد التى يزورها .. طبعاً لا يبحث عن أشخاص محددين بالاسم ؛ ولكنه يبحث عن قصص نجاح أو حكايات فشل : كيف نجح من نجح ، ولماذا فشل من فشل !؟ .. والحقيقة أن النماذج المصرية التى قابلتها فى بيروت كثيرة .. فالمصريين يكادوا يكونون منتشرين فى كل مجالات العمل هنا ، إلا فى البيع والشراء والتجارة .. لن تجد هنا محلاً صاحبه مصرى .. قد تجد بائعاً مصرياً – وذلك نادر – وسمعت أن القانون اللبنانى يمنع غير اللبنانيين من أن يمتلكوا محلات تجارية فى لبنان ، بعكس القانون عندنا الذى كلما تجولت فى شارع ٢٦

يوليو وشارع سليمان باشا وشوارع وسط البلد أتصور أنه يمنع (المصريين) من أن يمتلكوا محلات تجارية فى مصـــر ، إكتفـــاءً بالفلسطينيين والسوريين واللبنانيين !! ..

ولعل الزميل الصحفى المصرى القديم " على جمال الدين طاهر " هو واحد من أبرز النماذج المصرية الناجحة التى التقيت بها فى بيروت .. كنت أعرف أن " على جمال الدين " يعمل فى بيـــروت منذ عدة سنوات ؛ ولكننى لم أكن أعرف عنوانه ولا رقم تليفونـــه ولا حتى أين يعمل .. حتى تصادف أن كنت أزور " أنور الجمل " المستشار الصحفى بالسفارة المصرية فى بيروت ، وســـألته عـــن أخبار " على جمال الدين " ضمن من اهتممت بأن أعرف أخبارهم .. وكان " أنور الجمل " إيجابياً عملياً ؛ فرفع ســـماعة التليفـــون ووضعنى مع " على جمال الدين " على الخط ..

وفى نفس المساء كنت ألتقى بصديقى ورئيسى القـــديم " علـــى جمال الدين " المدير العام – الآن – لمؤسسة (أوربنت بـــريس) الصحفية فى مكتبه الفاخر الأنيق بإحدى بنايات شـــارع الحمـــراء أرقى أحياء بيروت .. كان آخر لقاء لى مع " على جمال الـــدين " فى القاهرة حين جمعنا العمل فى وكالة أنبـــاء الشـــرق الأوســـط القاهرية منذ نحو ١٠ سنوات : أنا محرر صغير فى بدايات حياتى

الصحفية ، وهو سكرتير عام الوكالة .. ثم يختلف طريقانا : أذهب أنا إلى مجلـــة (بناء الوطن) ثم إلى مجلة (الإذاعة والتليفزيون) ، ويعود هو إلى بيروت التى كان يعمل بها قبـــل أن يســـتدعى للعمل فى وكالة أنباء الشرق الأوسط ؛ يعود إلى بيروت ليشـــغل وظيفة مدير تحرير مجلة (الحوادث) (١) ، ثم يـــرأس تحريـــر مجلة (الأحد) ، ويمتد نشاطه ليشارك فى تطوير أغلب الصحف والمجلات البيروتية بشكل أو بآخر .. ثم فجأة يكتشف أنه سيقضى طول عمره موظفاً عند الغير ، وأن جهوده موزعة ومشـــتتة فـــى أكثر من مجال ، وأنه لو إستقل بالعمل لحساب نفسه بدلاً من العمل لحساب غيره لكان ذلك أربح وأجدى بالنسبة لمستقبله كصـــحفى ، فاستقال من وظيفته وأنشأ وكالة صحفية كان مقرها بيته لمدة سنة كاملة كان هو مديرها ومحررها ومصورها وفراشها فـــى وقـــت واحد .. وراح يراسل المؤسسات الصحفية الأجنبية ويبيـــع لهـــا المواد الصحفية التى تحتاجها .. واهتم بطباعة الألوان فى الوقـــت الذى كانت فيه صحافة لبنان مقبلة على طباعة الألـــوان جديـــد ، فوفر للصحافة اللبنانية المواد الصحفية الملونة .. وبعد سنة كاملة

(١) نفس الوظيفة التى شغلتها أنا بعد لقائى به اليوم بـــ ٧ سنوات ، مديراً لتحريـــر مجلة (الحوادث) بعد أن إنتقلت إلى لندن ..

من العمل فى البيت بدأ يؤسس وكالته فى مقرها الحالى الذى يدفع إيجاراً له ٣٦٠٠ جنيه سنوياً ، ويدفع مرتبات موظفين ومحررين ومصورين ٣٦٠٠٠ جنيه فى السنة .. وبعد ٣ سنوات أخرى كان " على جمال الدين " قد إستطاع أن يصنع لوكالته شبكة إتصالات صحفية مع ٢٢ وكالة ومؤسسة صحفية عالمية ، ويصبح له ٦ مراسلين يعملون لحسابه فى عواصم العالم الرئيسية ، ويصبح إسم وكالة (أوربنت بريس) معروفاً لكل المؤسسات الصحفية فى كل أوروبا ؛ لدرجة أنه فكر فى وقت من الأوقات فى أن ينقل مقر وكالته من بيروت إلى لندن ، ليصدر منها أيضا هناك مجلة يسميها (عالم واحد ONE WORLD) تعبر عن دول العالم الثالث وعلاقاتها مع العالم كله ، ومن خلال (العالم الثالث) يمكن أن نخدم القضية العربية .. فلكى نستطيع أن نقدم القضايا العربية للعالم الكبير فإنه لا بد أن نركب موجة أعرض وأوسع هى موجة العالم الثالث الموجود فى كل مكان حتى فى الولايات المتحدة نفسها .. لكن " على جمال الدين " رأى ان يؤجل هذا المشروع قليلاً فى الوقت الحالى حتى يتوفر له التمويل اللازم الذى يضمن له الإستمرار حين يبدأ ..

خرجت

مـــــن

مكـــتب " على جمال الدين " متسكعاً فى شارع الحمراء – أفخـــم وأرقى شوارع بيروت – نزولاً إلى شـــوارع بيـــروت الصـــاعدة الهابطة حتى وصلت إلى ساحة الشهداء .. شوارع بيروت تشـــع وتتوهج بالأضواء وإعلانات النيون فى مطلع الليل ، وكلما توغل الليل بدأت أضواؤها تخفت شيئاً فشيئاً ، حتى تصل إلى منتصـــف الليل فإذا بأغلب شوراعها (مدخمسة) ولا تجد مضاءً فيها غيـــر الساحات – الميادين – والشوارع الرئيسية المتفرعـــة مـــن هـــذه الساحات .. فى شارع ممتد من ساحة الشهداء إســـتوقفت نظـــرى مجموعة صور لمشاهد تمثيلية معلقة فى لوحة زجاجيـــة مضـــاءة على باب مايبدو أنه مسرح أو سينما .. وقفت لأتفرج عليها .. لم أعرف من مجموعة الممثلين سوى ممثل لبنان الشـــهير " حســـن علاء الدين " أو " شوشو " .. عرفته بشاربـــه الضـــــخم الكـــث الممتد بالعرض يميناً ويساراً ، والذى لا يتناسب على الإطلاق مع حجم " شوشو " الضئيل النحيل المجفف .. لمحت صورة أخـــرى بين الممثلات لوجه (شبهت عليه) : فتاة سمراء رقيقة الملامح .. شكلها فى ذهنى جداً .. أكاد أجزم بأننى أعرفها شخصياً ، حتـــى

رنة صوتها فى أذنى فعلاً .. أعرفها شخصياً !؟ .. يبدو أننى كنت سرحاناً ، فطبعاً أعرفها شخصياً ، أعرفها جداً ، أعرفها بشـــدة : صديقتى الممثلة المصرية الشابة " هالة فاخر " !! .. كنت أتصور أننى تركتهـــا فى القاهـــرة .. بحثت حتى قرأت إســـم المســـرح مكتوباً على واجهته (المسرح الوطنى يقدم فرقة شوشو المسرحية) .. مسرحية (جوة وبرة) .. بحثت عن باب المســـرح لأدخـــل لأرى " هالة " .. كل الأبـــواب مغلقة .. مـــــن أيـــن ســـيخرج جمهور المشاهدين إذن !؟ .. لا زال الوقت مبكراً .. الساعة لـــم تتجاوز منتصف الليل إلا بنصف ساعة فقط .. شرطى لبنانى كان يمر لاحظ حيرتى .. سألته ؛ فقال لى أن المســـرح ينتهـــى فـــى منتصف الليل تماماً كل ليلة .. مدهش .. مسارحنا فـــى القـــاهرة تنتهى بعد الثانية صباحاً فى أغلب الاحيان .. سأرى " هالة فاخر " غداً مساءً ، بدرى !! ..

ليلى .. والأزمة !!..

لـــيـــلـــى

رســـتـــم ،

التليفزيونية المصرية القديمة ، صاحبة أشهر وألمع برامج حـــوار قدمها التليفزيون المصرى منذ نشأته : (نجمك المفضل) .. هـــل تذكرونها !؟ ..

إنها تعيش الآن ومنذ خمس سنوات ، فـــى بيـــروت ، حيـــث استقرت نهائياً ورتبت حياتها على أن تعيش هناك ، وتزوجت مـــن شاب لبنانى هو " منير طقشى " مدير عام التليفزيون هناك .. ليس ذلك فقط ؛ بل إنها تقدمت أيضاً بطلب للحصـــول علـــى الجنســـية اللبنانية مع الإحتفاظ بجنسيتها المصرية ..

كنت أضع فى برنامجى وأنا ذاهب إلى بيروت أن ألتقى بـــــ "

ليلى رستم " هناك ، ولم أكن أعلم أننى حين أضع قدمى على أرض بيروت سيكون أول مايستقبلنى هناك هو الضجة العنيفة التى قامت وتحدثت عنها لبنان كلها بسبب " ليلى رستم " !! ..

ولم تكن الضجه بسبب (ماحدث) .. إنما كانت بسبب (ماترتب) على ماحدث !! ..

ولأفسر الأمر

قليلاً وباختصار : " ليلى رستم " منذ ذهبت إلى بيروت وهى تتعامل مع تليفزيونها – القناة ٧ – من الخارج ، تتعامل بالقطعة : تقدم برنامجاً فتتقاضى عنه أجراً ، يتوقف البرنامج فتتوقف علاقتها بالتليفزيون وينقطع أجرها منه – وكان هذا التوقف يستمر أحياناً ستة شهور – حتى تعود فتقدم برنامجاً جديداً وهكذا .. بمعنى أنها ليست موظفة معينة فى التليفزيون اللبنانى ولا تتقاضى منه مرتباً شهرياً ثابتاً ..

وبهذا النوع من التعامل قدمت " ليلى رستم " عدداً من البرامج منذ وصولها واستقرارها فى بيروت فى أواخر عام ١٩٦٦ .. واستطاعت " ليلى رستم " فى خلال السنوات الأربع التى تعاملت فيها مع شاشة لبنان الصغيرة أن تصبح ألمع نجومها على الإطلاق

، بعد أن فرضت أسلوبها وطريقتها فى المناقشة وإدارة الحوار بالشكل الذى يتذكره المشاهدون فى مصر ، وكان ذلك الشكل جديداً على المشاهدين اللبنانيين ، ولكنه أعجبهم وأثار إهتمامهم ، بل وأثار أيضاً جدلهم ومناقشاتهم للطريقة التى (تتعامل) بها " ليلى " مع ضيوف برامجها ... تلك الطريقة التى جعلت برامجها تتميز بنوع وبطعم خاص من الديناميكية والحيوية جعلت مجلة (كل شئ) اللبنانية تقول عن برامج " ليلى " أنها من البرامج القليلة التى يستطيع المتفرج أن يتحمل من أجلها تفاهات التليفزيون اللبنانى بقناتيه !! .. ووصفت المجلة " ليلى رستم " نفسها بأنها : " سيدة مثقفة وموهوبة ونادرة فى هذا الحقل " .. لدرجة أنه حين تعرضت " ليلى " لضجة سابقة بعد تقديمها حلقتين من برنامجها : واحدة عن (شهداء لبنان) بمناسبة عيد الشهداء ، والثانية عن الإستقلال بمناسبة عيد الإستقلال ؛ واعترض البعض أن تقدم (المصرية) " ليلى رستم " بالذات هاتين الحلقتين بالذات : " أليس هناك غير هذه السيدة غير اللبنانية لكى تقدم مثل هذه الحلقات الوطنية اللبنانية الصرفة !؟ " .. ووقتها كان رد المقتنعين بنجاح وخبرة " ليلى " : " هاتوا لنا غيرها إذا كان لديكم " !! ..

كـــانت

هـــذه

هـــــى صورة التليفزيونية المصرية الشهيرة " ليلى رستم " فـــى نظر جمهور مشاهدى التليفزيون اللبنانى ؛ حتى بدأت تقـــدم آخـــر برامجها : (حديث الناس) ، الذى أصبح هو نفسه فعـــلاً حـــديث الناس فى لبنان كلها بعد الأزمة التى سببها ، والتى كانت نتيجتهـــا وقف البرنانج وإيقاف " ليلى رستم " نفســـها عـــن التعامـــل مـــع التليفزيون اللبنانى تماماً !! ..

لماذا !؟ ..

الطرف الآخر فى الموضوع : الصحيفة اللبنانية المعروفـــة " علياء الصلح " إبنة الرئيس اللبنانى السابق المرحوم " رياض الصلح " .. و" علياء الصلح " ليست معروفة فقط بحكم أنها ابنـــة أشـــهر وأحب رؤساء لبنان إلى قلوب اللبنانيين ؛ ولكنها معروفـــة أكثـــر بصراحتها الشديدة اللاذعة وآرائها الجريئة وقلمها العنيف القاســـى الحاد الشديد الصلابة فى الحق ، حتى أن " كميل شـــمعون " أحـــد رؤساء لبنان السابقين قال عنها أنها : " الرجل الوحيد الباقى فى آل الصلح " ، ووصفها " أحمد بهاء الدين " بأنها : " أجرأ (كاتب) فى لبنان " !! ..

ويلتـــقى

الطـــرفان :

التليفزيونية المصرية " ليلى رستم " والصحفية اللبنانية " علياء الصلح " ، وتكون أرض اللقاء هى حلقة من برنامـــج (حـــديث الناس) ، تستضيف " ليلى " فيها " علياء " .. ولما كانت " ليلـــى " تعرف عن " علياء " صراحتها الشديدة وجرأتها العنيفة ؛ فقد طلبت منها ورجتها أن تراعى الظروف وألا تثير ما يمكن أن يسبب ردود فعل عنيفة ..

ومع ذلك ؛ فقد انفجرت القنبلة فى ثوان أثناء إذاعـــة البرنـــامج على الهواء ؛ حين تناول الحديث بين " ليلى " و" علـــياء " مجـــلس النواب اللبنانى ، فقالت " علياء " على الفور : " إن مجلس النـــواب الآن هو (زريبة) لأولاد الذوات ، أمثال إبن الصلح وإبن الجميل وإبن الخورى " !!!!!!! ..

وبوغتت " ليلى رستم " بهذا الوصف ، لكنها لم تستطيع أن تفعل شيئاً ، فالبرنامج يذاع على الهواء مباشرة ، وأى محاولة للإستدراك أو للتلطيف قد تزيد الطين بلة وتعقد الأمور أكثر .. ففوتتها " ليلى " وتركتها تمر .. لكن الذين لذعتهم الكلمة وجرحهم الوصف ثـــاروا وهاجوا وماجوا وعصفوا .. إنما لما كانت ثـــورتهم وعصـــفهم لا

يستطيعان شيئاً مع " علياء الصلح " لأنها ليست فى متناول أيديهم ؛ فقد إنقضت العاصفة فوق رأس " ليلى رستم " لتكون هى الضحية وكبش الفداء : إيقاف برنامج (حديث الناس) ، وإبعاد " ليلى رستم " عن شاشة التليفزيون اللبنانى نهائياً وإلى الأبد ، وعدم السماح لها بتقديم أى برامج أخرى بعد ذلك .. كأنها هى التى وصفت مجلس النواب بهذا الوصف وليست " علياء " !! .

وبما أن

لكل

فعل رد فعل مضاداً ؛ فقد أثار خبر إبعاد" ليلى رستم " وإيقاف برامجها صحافة لبنان ؛ فوقفت فى مجموعها وراء " ليلى رستم " تصد عنها إنتقاماً لا ذنب لها فيه .. وراحت كل صحيفة أو مجلة بطريقتها الخاصة تدافع عن " ليلى رستم " .. لكن أغلبها إشتركت فى تفسير كلمة (زريبة) التى كانت موضع المؤاخذة فى حديث " علياء الصلح " مع " ليلى رستم " .. فذكرت أن كلمة (زريبة) فى قاموس (المنجد) تعنى : (حظيرة مواشى) أو (عرين الأسد) أو (مخبأ الصياد) " .. وقالت – مثلاً – مجلة (الحوادث) : " إن كلمة زريبة تعنى أيضاً (عرين الأسد) ، وقد يكون هذا المعنى

هو الذى قصدته علياء .. فلماذا يختار النواب من بين المعانى الثلاثة للكلمة صفة المواشى أو الغنم عندما تكون أمامهم صفة الأسود !؟ " ..

وقالت مجلة (كل شئ) : " ربما الواحد يعمل حسابه عندما يكون على علم مسبق بأنه يعيش فى بلد أشبه بقفص صغير مقفل ، له مساحه محدوده ليجلس ، وكمية معينة من الهواء ليتنفس ، ودرجة قصوى من الصوت ليصرخ ، ولكن : لا أحد عمل حسابه فى التليفزيون فى الأسبوع الماضى ؛ فكل الذين إكتشفوا أنهم داخل الفقص الصغير كانوا يظنون قبل ذلك أن ارضهم شاسعة ، وسماءهم واسعة ، وصراخهم يمكن أن يكون غناءً ذا صدى جميل مؤثر " .. وقالت مجلة (الموعد) أن ناقل الكفر ليس بكافر ، وقد كان على الدولة أن تقاضى " علياء الصلح " وليس " ليلى رستم " ، فالتى تحدثت هى علياء " ، والتى أدلت بالآراء هى " علياء " والتى أقامت القيامة هى " علياء " ..

وهكذا قالت " علياء الصلح " كلمتها ، ودفعت " ليلى رستم " الثمن .. ومازالت – حتى ساعة كتابة هذه الرسالة من بيروت – الأزمة التى تفجرت بسبب ليلى رستم و علياء الصلح مشتعلة متأججة ، والناس تناقشها وتتكلم عنها فى كل مكان فى بيروت ،

من حفلات السفارات حتى سائقى التاكسيات .. وقد كنت أقــدر أن لقائى مع " ليلى رستم " سيكون بعد عدة أيام مــن وصــولى إلــى بيروت ، ولم أكن أتصور أن كل هذه الضجة بسبب ليلــى رســتم ستستقبلنى وأنا أضع قدمى أولى خطواتى على رصيف الميناء ...

الهاتف عند الناطور !!..

فـــى

جيبى

كشف طويل بأشياء كثيرة طلب منى الأهل والأصدقاء والمعارف أن أشتريها لهم من بيروت .. وجدت نفسى هذا الصـــباح وعنـــدى ساعة فراغ قررت أن أستغلها فى القيام بجولة فى السوق .. ورغم إحتياطاتى وحرصى الشديد بعد تجاربى العديدة فى رحلاتى السابقة ؛ فإن الشخص خارج وطنه يصاب بما يشـــبه جنـــون الشـــراء أو مايسميه البعض (سعار الشراء) ؛ فيجد نفسه – كما حدث ويحدث وسيحدث دائماً معى – يشترى أشياء لم تكن على باله على الإطلاق ولم يكن ينوى أن يشتريها على الإطلاق ، بل الأكثر من ذلك أنـــه يكون لا يحتاجها على الإطلاق ، ولو استنجدت به هذه الأشياء فى القاهرة واستحلفته بالعزيز الغالى وبرحمة أمه أن يشتريها لما فعل ،

وحتى لما كلف خاطره بالتوقف لحظة أمام الفاترينات التى تعرضها ولو لمجرد الفرجة عليها .. كان نتيجة ذلك أننى لم أشتر لأحد شيئاً من المطلوبات ، إنما اشتريت لنفسى : طقم أدوات مطبخ لست أدرى ماذا سوف أفعل بها ، فلا أنا لى علاقة بالمطبخ ولا أفهم فى الطبخ وحتى لا أظن أن عندى فى البيت مطبخ .. لكن تقول إيه .. قلة عقل ..

لذا ، لم أندهش حين أفلس أغلب زملائى بعد ٣ أيام فى بيروت ، وبدأوا يستنجدون (بمصادرهم) البيروتية !! ..

كنت أتحدث

مع الصديقة اللبنانية " نهى بعلبكى " سكرتيرة وكالة (أورينت بريس) الصحفية ، أحاول أن أفسح فى برنامجى فترة لزيارة دمشق وسوريا .. إقترحت " نهى " أن اذهب يوم الأحد ، وكان طبيعى أن أسألها : " ولماذا يوم الأحد بالذات !؟ " .. فقالت لى : " أولاً لأنه يوم عمل فى دمشق التى أجازتها الجمعة مثل عندكم فى مصر ، لذا ستجد المصالح والأسواق والمحلات كلها مفتوحة يوم الأحد ، بعكس عندنا فى لبنان التى أجازتها الأحد ، ويوم الجمعة

يوم عمل عادى فيها .. فالأغلبية فى لبنان مسيحية ، وفى الدستور اللبنانى أن رئيس الجمهورية لا بد وأن يكـــون مسيحـــياً مارونيـــاً ورئيس الوزراء مسلم سنى ، ورئيس مجلس النواب مسلم شـــيعى مننى " !!.

أفهم مسيحى مارونى ، وأفهم مسلم سنى ، وأفهم مسلم شيعى ، لكننى لم أفهم " مسلم شيعى مننى " يعنى إيه !! .. إستوضـــحت " نهى " : " مسلم شيعى مننى يعنى إيه يا نهى !؟ " .. فقـــالت لـــى بدهـــشة لغباوتى الشديدة : " مسلم شيعى مننى يعنى مسلم شـــيعى مننى " !! .. برضه لم أفهم .. هى كلمة " مننى " دى إللى أنا مش فاهمها .. أصررت على أن أفهم حتى لو اتضح أننى أغبى رجـــل فى العالم .. وبعـــد البحـــث والتحـــرى والإســـتعانة بالمفســـرين والمجتهدين من زملاء الوكالة ؛ إتضح أن " نهى " تقصد بـــ " مسلم شيعى مننى " يعنى " مسلم شيعى مننا ، أو زينا ، أو مثلنا " .. فقد كانت محدثتى " نهى بعلبكى " مسلمة شيعية !! ..

يبدو أن أذناى لم تستطيعا أن تتأقلما بعد مع اللهجه اللبنانية !! .

ونهى

بعلبكى

عـــينة أو نموذج للفتاة اللبنانية العصرية الحديثـــة التـــى تنهـــى

دراستها العادية مبكرة ، وتتزود بعدها بدراسة أخرى متخصصة تؤهلها للعمل الذى تعد نفسها له : آلة كاتبة وأعمال سكرتارية ، ومرحلة أرقى فى اللغة الإنجليزية .. فتكون أول وظيفة لها وعمرها ١٨ سنة هى سكرتيرة المدير العام لوكالة الـ (أورينت بريس) الصحفية بمرتب ٣٠٠ ليرة شهرياً .. الـ ٣٠٠ ليرة بالعملة المصرية تساوى ٧٥ جنيهاً مصرياً ، على اعتبار أن الجنيه المصرى يساوى هناك ٤ ليرات بالسعر الحر كما اتفقنا ..

ويدهشنى أن أعرف من " نهى " أنها وهى لسة فى اول تعيين لها تتقاضى مايساوى عندنا ٧٥ جنيهاً كمرتب .. فيجرنا الحديث إلى شكل الأجور والمرتبات والوظائف والموظفين فى بيروت أو فى لبنان عموماً ؛ فأعرف منها أن الشاب أو الفتاة اللبنانية الذى يتخرج من الجامعة إذا (وفق) فى الحصول على عمل فى الحكومة ، فان ذلك يدخل تحت بند دعاء الوالدين ، لأن الحكومة فى لبنان تعطى أحسن المرتبات فى البداية ، فهو يتقاضى ٣٥٠ ليرة فى الشهر أو نحو ٨٧.٥ جنيهاً مصرياً .. لأنه لو عمل فى أى جهة أخرى كالشركات مثلاً فلن يزيد مرتبه عن ٢٠٠ ليرة – ٥٠ جنيهاً مصرياً – ويكون غلبان جداً ومسكين جداً إذا لم يجد عملاً فى الحكومة أو فى الشركات ، فسوف (يضطر) حينئذ إلى (قبول

) وظيفة فى البنوك ، وهذه لن يتعدى مرتبها ١٧٥ ليرة فقط شهرياً ، أو نحو ٤٤ جنيهاً مصرياً فقط لاغير !! ..

غلبان أوى الشاب اللبنانى .. مسكين جداً .. إزاى يعيش بهذا المبلغ الضئيل : ٤٤ جنيهاً فقط !! .. الذى لا يصل إليه زميله الشاب المصرى إلا بعد ٢٠ سنة على الأقل خدمة فى مصالح الحكومة !! .. وكأنما تقرأ " نهى بعبلكى " أفكارى فإنها تستطرد : " ومع ذلك ؛ فمستوى الأجور هذا يعتبر منخفضاً بالنسبة لمستوى المعيشة فى بيروت وفى لبنان ، لذا فالشاب اللبنانى لا يستطيع أن يتزوج أو حتى يستقل بحياته ومعيشته بعيداً عن بيت أسرته بمجرد تعيينه ، ولابد له أن ينتظر ٤ أو ٥ سنوات حتى يصل مرتبه إلى نحو ٤٠٠ ليرة قبل أن يستطيع أن يجخ (تقصد يتشيك أو يلبس كويس) ويشترى سيارة صغيرة ويسكن وحده فى شقة صغيرة ويبدأ يحيا حياة سهلة ميسورة إلى حدٍ ما .. فإيجار الشقة الصغيرة غرفتين وصالة فى بيروت يبلش – (يبدأ) – من ١٥٠ إلى ١٧٥ ليرة – بين ٤٠ و ٤٥ جنيهاً مصرياً – فى الأحياء المتوسطة .. وأغلى مناطق بيروت هى حى الحمراء ومناطق الحازمية ورأس بيروت والرملة البيضاء حى السفارات ، وفيها يصل إيجار الشقة المكونة من ٥ غرف من ٣٠٠ إلى ٣٥٠ ليرة فى الشهر – بين ٧٥

إلى ٨٥ جنيهاً مصرياً – .. منطقة الأشرفية أرخص نسبياً لأنها بعيدة قليلاً عن بيروت وتعتبر من ضواحيها مثل المعادى ومصر الجديدة عندنا فى مصر ..

إلـــى

حـــدٍ

كـبـير لا توجد هنا فى بيروت أزمة تليفونات رغم اكتظاظ المدينة بالناس وبالعمارات .. فقد استطاعت بيروت أن تتغلب على أزمة التليفونات ولا تجعلها مشكلة أصلاً بطريقة بسيطة أذكر أننى إقترحتها من قبل مرتين خلال الأعوام العشرة الماضية .. مرة حين بدأ تنفيذ مشروع (مدينة الإعلام) فى منطقة العجوزة بالقاهرة ، والمرة الثانية حين بدأ أيضاً تنفيذ مشروع (مدينة نصر) فى صحراء العباسية .. الفكرة بسيطة وسهلة وكان يجب أن تخطر على بال المسئولين عن التليفونات فى مصر ببساطة جداً : الفكرة كما هى منفذة فى بيروت أن كل عمارة فيها ٨ أو ١٠ شقق فأكثر يخصص فى مدخلها غرفة مكتب صغيرة يشغلها (الناطور) – (الناطور) هو بواب العمارة – وهو ليس بواباً زى عندنا ، إنما هو موظف شاب أفندى ببدلة مهمته الإشراف إشرافاً كاملاً على العمارة من كل النواحى ؛ إبتداءً من تحصيل الإيجار

وتأجير الشقق التى تخلو بنفسه وليس صاحب العمارة ، لغاية حل مشاكل النور والمياه والمصاعد وما إليها .. ومن بين إختصاصاته: التليفون .. فإلى جوار مكتبه الصغير توجد لوحة (سويتش) تليفونات تخدم العمارة كلها ، وفى اللوحة خط أو خطين أو ثلاثة خطوط تليفونية ذات أرقام ، حسب حجم العمارة وعدد السكان الذين يخدمهم السويتش .. وفى كل شقة عدة تليفون متصلة بهذا (السويتش) الموجود عند (الناطور) .. وترفع سماعة التليفون فيرد عليك الناطور فتطلب منه رقم كذا خارج العمارة فيطلبه لك على الفور .. أو يتصل به من الخارج شخص ما يطلبك أو يطلبنى أو يطلب جارك فى الشقة المجاورة لك أو التى تعلوك أو تحتك ، فيوصله الناطور بشقة أى منا .. وهكذا حلت بيروت مشكلة التليفونات ببساطة ، فخط تليفون واحد أو خطين أو حتى ثلاثة خطوط ، ممكن أن تخدم ١٠٠ شقة أو بيت فى وقت واحد ، ويدفع كل منها إشتراكاً بسيطاً ، بدلاً من أن يكون فى عمارة واحدة ١٠٠ خط تليفون لا يستعمل كل منها إلا فى ٣ أو ٤ مكالمات فى اليوم .. وبعد ذلك فالذى يحتاج بحكم عمله إلى تركيب خط تليفون مستقل مباشر فى بيته لا يمر على الناطور ، فهو حر طبعاً ..

فكرة إشتراكية حقيقة ، رغم أن لبنان ليس بلداً إشتراكياً !! ..

دعـــانى
الصديق

" أمـــيـــر غنى الصريف " أحد شبان السفارة المصـــرية إلـــى جولة فى القرى اللبنانية الصغيرة على طريق بيروت / طرابلس ، لكى أرى عينة من الريف اللبنانى .. ذهبت بنا ســـيارته الفـــولكس الصغيرة إلى قرية (عمشيت) على بعد نحو ساعة من بيروت .. القرى اللبنانية متناثرة على جانبى طريق طرابلس " ونحـــن فـــى الطريق إلى (عمشيت) لفت نظرى وأثار انتباهى بشدة – وأثـــار إعجابى أكثر – أن كل الطرق التى مشينا فيهـــا ، حتـــى طرقـــات القرية نفسها من الداخل ، كانت مرصـــوفة ، ومرصـــوفة بعنايـــة ونظافة ، حتى أن مطباً واحداً من المطبـــات التـــى تمـــلأ شـــارع رمسيس وشارع الجلاء عندنا لم أقابله هناك .. وأن بيوت القريـــة ومبانيها كلها مبنية بالحجر ولم أر بيتاً واحداً مبيناً بالطوب النيـــئ الذى قالوا لنا فى المدرسة زمان أن إسمه (الطوب اللبن – بكســـر البـــاء) ، ولم أر حطباً فوق سطح بيت من البيوت .. البيوت كلها أشبه بفيللات صغيرة أنيقة مبنية على الطراز الحديث كأنهـــا فـــى مصيف ريفى ، وكلها مضاءة بالكهرباء .. لاحظ " أميـــر غنـــى الصريف " دهشتى وإعجابى ؛ فأوضح لى أن الإستعمار الفرنســـى

الذى كان يظن أنه لن يرحل من لبنان أبداً هو الذى فعل كل ذلك .. هو الذى – على الأقل – رصف الطرق ، وهو الذى جعل ريف لبنان وقراه تبدو بهذه الصورة الجميلة لأنه أراد ان يجعل لبنان كلها قطعة من فرنسا ، تماماً كما فعل فى الجزائر ..

غريبة جداً .. لقد قضى الإستعمار الإنجليزى فى مصر ٧٠ سنة ؛ فلماذا لم يفعل فى ريفنا وقرانا مثلما فعل زميله الإستعمار الفرنسى فى لبنان !؟ .. يبدو أن صحيح الدنيا حظوظ ، حتى فى الإستعمار !! ..

صديقتى

الصحفية

اللبنانية ليلى سمارة " التى درست الصحافة فى جامعة القاهرة ثم عادت إلى بيروت لتجرب حظها فى الصحافة اللبنانية ؛ سمعت منى " ليلى " أننى أبحث عن نماذج للفتاة اللبنانية الحديثة من طالبات الجامعة فى بيروت ؛ فاقترحت علىّ موضوعاً جديداً : لماذا – أصلاً – لا أعمل موضوعاً عن جامعة بيروت العربية نفسها ، وعن الطالبات العربيات المغتربات فيها !؟ .. قلت لها : " إيدى على كتفك " .. وأخذتنى " ليلى سمارة " لتعرفنى بالطالبة

المصرية " ماجدة حسنى " التى أصبحت طول الفترة التى قضيتها فى بيروت بعد ذلك دليلتى ومرشدتى وقائدتى ومعلمتـــى .. فـــى الصعلكة !! ..

بنت مصرية ..

وحدها فى بيروت !!..

الظاهرة

الـــتـــى

تـــلـــفت النظر فى كل شبر فى شوارع بيروت هـــى : مكاتـــب الصرافين .. دكاكين صغيرة جداً ليس فيها أى نوع من البضـــاعة إلا : الفلوس !! .. كل مهمة هذه الدكاكين هى أن تقبل منـــك أى نوع من أنواع العملة الأجنبية – الأجنبية عن لبنان طبعاً – لتعطيك بدلاً منها ليرات لبنانية .. هكذا علناً فى الشوارع ، وتعطيك أكثر مما يعطى لك البنك ، ومع ذلك فلا تهمة تهريب ولا غسيل أموال ولا غيره .. أتذكر أن مثل هذه المكاتب كانت منتشرة عندنا فـــى مصر فى شوارع وسط البلد : عبد الخالق ثروت وشريف وقصر النيل وشارع فؤاد – ٢٦ يوليو الآن – حتى عام ١٩٥٢ .. وبعده بدأت تقل تدريجياً حتى اختفت تماماً الآن .. هنا منتشرة أكثر من

انتشار المقاهى فى القاهرة !! .. بالمناسبة ، وللدهشة الشديدة ، لم أر هنا – رغم أننى فى أشد أحياء بيروت شعبية – مقهى واحداً من المقاهى إياها : طرقعة قواشيط الطاولة والدومينو والكوتشينة وواحد شاى و٢ قهوة بن تقيل وصلحه ، ولا الكراسى التى تزحم الأرصفة ويجلس عليها ناس متبنجين متخشبين لا تتحرك منهم سوى رؤوسهم وعيونهم وراء الغاديات والرائحات .. إنما المنتشر هنا فعلاً المطاعم الصغيرة والكافيتيريات ، وأغلبها على الواقف : تأكل وأنت واقف وتمشى قوام .. ومنتشرة أيضاً محلات اللعب الميكانيكية : شئ ما أشبه بما نراه فى الموالد عندنا : فتح عينك تاكل ملبن ونشن كويس تكسب ؛ بس على أوروبى .. جهاز يدور بالكهرباء ، تضع فيه ربع ليرة – نحو سته قروش ونصف مصرية – فيعمل الجهاز : كرة صغيرة من الصلب تدفعها أنت بواسطة مقبضين تحركهما بزرين من خارج الجهاز ، فإذا استطعت أن تحتفظ بكرة الصلب تتحرك وتجرى أطول مدة ممكنة فأنت شاطر ، وإذا لم تستطع فأنت مش شاطر ، وبس ، خلاص ، إنتهت اللعبة .. ولله فى خلقة شئون ورزق الهبل على المجانين !!.

الخبـــر الـــــذى

تتـــكـــلم عنه بيروت كلها اليوم هو خبر زواج الممثلة المصرية ، المسلمة ، " زبيدة ثروت " من الحلاق اللبنانى ، المسيحى ، " نعيم عبود " .. الناس هنا ، رغم تحررهم الشديد جداً ، كان هذا الخبـــر صدمة للكثيرين منهم .. ليس لأن " نعيم " حلاق ، فالحلاق هنـــا – خصوصا حلاق السيدات – مهنته محترمة جداً ، لكن من ناحيـــة " زبيدة " نفسها .. لأن الفنان هنا شخصية هامة جداً أكثر من عنـــدنا فى مصر ، والناس تهتم بأدق خصوصياته وتتدخل فيها وتناقشـــها بحماس شديد كأنها مشكلة الشرق الاوسط .. ومن حصيلة ماسمعته من لبنانيين ومن مصريين أن انفصال " زبيدة ثروت " عن زوجها الأول الضابط البحرى المصرى " إيهاب الغزاوى " لم يثر دهشـــة أحد ، ففشل الزواج الأول أمر عادى لا يستحق كثيراً من المناقشة .. وحتى إنفصال " زبيدة " عن زوجها الثـــانى المنـــتج المـــوزع السورى " صبحى فرحات " لم يثر أيضاً كثيراً مـــن المناقشـــة إلا بسبب البنـــات الأربع الصغـــيرات اللاتى نتجن عن هذا الزواج : " ريم " و" رشا " و" قسمت " و" مها " .. خصوصاً بعد ما ظهر من حب " زبيدة " لبناتها وتعلقها بهن وتعلقهن بها .. لكـــن الـــذى لـــم

يتصوره أحد هو أن تضع " زبيدة ثروت " – بنت الحسب والنسب وسليلة الأسرة الملكية المصرية السابقة – بناتها الأربع وراء ظهرها لتجرى وراء ما يعتقد الناس هنا أنه نزوة طارئة ومغامرة عابرة .. بل ووصل البعض إلى تصور أن " زبيدة ثروت " لم تفعل ذلك ولم تتزوج من " نعيم " إلا لأنه حلاق ، وإلا لأن زواجها من حلاق سيثير حولها المناقشات والكلام والجدل ، فيصبح زواجها موضوعاً مثيرا للصحافة الفنية فى بيروت والبلاد العربية ، ويعود بهذه الطريقة الغريبة إسم " زبيدة ثروت " إلى صفحات الصحف مرة أخرى بعد أن كان قد اختفى منها تماماً حتى وهى تمثل فيلماً مع " فريد الاطرش " .. بدليل أن هذه الضجة قد حدثت فعلاً ونشرت كل الصحف والمجلات اللبنانية صور " نعيم " و" زبيدة " ، وبعضها كان على الغلاف الملون الظريف !! ..

على العموم ، المسألة كلها أولاً وأخيراً : وجهات نظر !! ..

كانت

عندى

ساعة فراغ اليوم عصراً .. نزلت إلى السوق .. غالباً لا أشترى شيئاً إنما فقط أتفرج .. أحياناً على المعروضات ؛ وغالباً على الذين يشترون .. وكانت هى مثلى تتفرج ولا تشترى .. وجدتها أمامى

فجأة : آمال فهمى الإذاعية المصرية القديمة .. الدنيا صغيرة حقيقة ومسير الحى يتلاقى .. لم ألتق بآمال فهمى ونحن نعيش فى مدينة واحدة منذ أكثر من سنة ؛ فنلتقى فى بيروت وكلانا غريب يتسكع .. تبادلنا السؤال عن الصحة والأحوال وآخر الأخبار .. رأيتها ترتدى السواد فسألتها فعرفت أن والدتها صديقة الكل وحبيبة الكل وأم الكل الحنون الطيبة قد توفيت منذ سبعة شهر !! .. الدنيا كبيرة حقيقة : كلانا يعيش فى مدينة واحدة ، وهى إذاعية مشهورة وأنا صحفى مهمتى أن أعرف الأخبار فور حدوثها وأحياناً قبل حدوثها ، ومع ذلك ...

لم أعد أدرى أيهما أصح : هل الدنيا صغيرة أم كبيرة !؟ ..

بيب

بيب

أهلى .. النادى الأهلى القاهرى يتجمع كله الآن فى بيت " عادل هيكل " حارس مرماه المعروف .. " عادل " يعيش الآن فى بيروت بحكم عمله الحالى كمشرف رياضى لجامعة بيروت العربية .. وفى بيت " عادل " بحى الحمراء يتجمع كل الطالبات والطلبة المصريين الذين أصبحوا يشكلون جمهوراً للنادى الأهلى طرف " عادل هيكل " ، بحكم أن (الاقربون أولى بالمعروف) ..

كنت على موعد مساء اليوم فى بيت " عادل هيكل " ، ليس مع " عادل " نفسه ، وإنما مع الطالبة المصرية فى جامعة بيروت " ماجدة حسنى " التى عرفتنى بها الزميلة الصحفية اللبنانية " ليلى سمارة " .. كنت أظن أن قعدتنا ستكون فى بيت " عادل " ؛ لكن " ماجدة " من على الباب أخذتنى من يدى لننزل مرة أخرى .. وفى الأسانسير سألتنى : " مش إنت عايز تشوف وتقعد مع مجموعة طالبات عربيات مغتربات عايشين لوحدهم فى بيروت !؟ .. بس .. حآخدك معايا بيت الطالبات نفسه ، وحا تلاقى البنات قدامك بالكوم : تختار منهم زى ما انت عايز " .. " ماجدة " نفسها : بنت مصرية تعيش وحدها فى بيروت .. وهى نموذج يعتبر غريباً فعلاً بالنسبة لظروف حياتها ، الدراسية على الاقل .. " ماجدة " هى بنت الدكتور " حسنى فرج " رئيس البعثة الطبية المصرية فى الرياض بالمملكة السعودية . ولدت وعاشت طفولتها فى القاهرة ، ثم انتقلت مع أبيها وأسرتها إلى السعودية لتقضى فترة تلمذتها الإعدادية والثانوية كلها فى السعودية حيث غير مسموح للبنت هناك بالخروج بمجرد الفساتين العادية ، ولا حتى بالخروج وحدها أصلاً .. وغير مسموح للبنات بالإلتحاق بجامعة الرياض إلا كمنتسبات فقط ، فلا يسمح لهن بدخول باب الجامعة إلا فى أيام الإمتحانات فقط ..

وهكذا عاشت " ماجدة " سنوات جميلة من عمرها فى مجتمع منغلق أشد الإنغلاق صارم فى تقاليده المحافظة ليس للبنت فيه أى دور .. فلما حصلت على الثانوية العامة من السعودية وجاء وقت الجامعة ؛ قضت سنة فى جامعة الرياض من منازلهم ، ثم قررت أن تلتحق بجامعة خارج المملكة السعودية .. فى القاهرة لم يسمح مجموع " ماجدة " المتواضع فى الثانوية العامة إلا بأن تلتحق بمعهد الإقتصاد المنزلى لكى تتخرج منه مدرسة تدبير أو مدرسة تفصيل أو مشرفة مطبخ فى أحد الفنادق .. ورفضت " ماجدة " فلم تكن هذه (الأشياء) كلها واردة فى تفكيرها كمستقبل على الإطلاق .. أراد والدها أن يلحقها بجامعة لندن أو جامعة سان فرانسيسكو ؛ لكن إتضح أنها لا بد أن تقضى سنة تأهيلية قبل الجامعة غير محسوبة فى مدة الدراسة ، لتدرس اللغة الإنجليزية وحدها لتستطيع أن تتماشى مع الدراسة ، فاستخسرت " ماجدة " من ناحية أن تضيع منها سنة أخرى بعد السنة التى ضاعت فى جامعة الرياض ، ومن ناحية أخرى لم توافق والدتها ، بحكم قلب الأم ؛ على أن تعيش إبنتها بعيداً عنها جداً إلى هذا الحد .. وأرادت الأم أن تكون " ماجدة " قريبة منها وفى متناول يدها تستطيع أن تراها فى أى وقت ، وكان أقرب مكان ممكن هو بيروت ، فلم يكن أمامها إلا جامعة بيروت ..

تحكى

لـــــى

ماجدة – ٢١ ســـنة – ونحن فى الطريق إلى (بيت الطالبـــات) الملاصق لجامعة بيروت العربية :

– ماتقدرش تتصور فرحتى كانت قد إيه لما عرفت إنى سأدخل جامعة بيروت وأعيش فيها لوحدى .. من فرحتى بقيت مش بانـــام الليل من تفكيرى فى حريتى الكاملة اللى سأحصل عليها من غيـــر مايبقى فيه حد جنبى يحاسبنى ، وإنى حاخرج من المجتمع المنغلق جداً فى السعودية إلى مجتمع مفتوح جداً ومتحرر جداً فى بيـــروت .. وأول مرة جيت بيروت جاءت معايا ماما وبابا اللى عمرى مـــا فارقتهم قبل كده .. الإتنين سوا ، وقعدوا معايا هنا ١٥ يوم علشان يتطمنوا عليّ حاعمل إيه .. وأجروا لى غرفة فى (بيت الطالبات) اللى إحنا رايحينه دلوقتى ، قعدت فيها لوحدى ٤ أيام وهم لسه فى بيروت علشان تبقى زى فترة إختبار ، يشوفونى حاقـــدر أعـــيش لوحدى والا لأ .. ولما جه يوم سفرهم راجعين السعودية وسايبيننى لوحدى ؛ بقى بابا يشد ماما منى ويشدنى من مامـــا فـــى المطـــار علشان نسيب بعض .. وسافروا ، وبصيت لقيت نفسى فجأة عايشة لوحدى (متمتعة) بحريتى الكاملة وبادخل وباخرج علـــى كيفـــى

وعندى أصدقاء صبيان ، بل يمكن أغلب أصدقائى صبيان ، فشعرت فعلاً إنى بأمارس الحرية الحقيقية اللى لازم تكون عند البنت كما يجب ، وأنها تكون هى شخصياً المسئولة عن نفسها وعن تصرفاتها وعن تقرير إيه اللى تعمله وإيه اللى ما تعملوش للمحافظة على نفسها من غير مايكون فيه رقيب عليها إلا نفسها هى شخصياً وضميرها هى شخصياً : تعمل زى ماهى عايزة بحيث لا تسئ إلى نفسها ولا تسئ إلى أسرتها ولا تجرح كرامتها .. باقبل دعوات السينما والمسرح والرحلات سواء كانت الدعوات دى فردية أو مع شلة .. ما عيب إلا العيب .. ومادام مفيش حاجة غلط بتحصل يبقى مفيش حاجة أبداً ممكن تتخبى .. تتخبى ليه !؟ .. لكن فيه بنات بيبقوا عايشين فى وسط أهلهم وعيلتهم ومع أبوهم وأمهم وإخواتهم فى نفس البيت ويعملوا حاجات ومحتاجات فى السر وماحدش من أهلها يعرف عنها حاجة .. بذمتك إنهى أحسن : كده والا كده " !؟ ..

قلت لها ونحن نصعد فى الأسانسير إلى بيت الطالبات : " كده " !! ..

ملوك بيروت ..

وأفراح وديع الصافى !! ..

وفـــــى
بـــيـــت

الطالبات إلتقيت بتشكيلة من الفتيات من مختلف الجنســيات ومــن مختلف كليات جامعة بيروت العربية : " ختام الشــوا " و" فــدوى السعدى " فلسطينيتان من غزة ومن كلية التجارة ، " مى محمصانى " لبنانية ومن كلية التجارة أيضاً .. " سعاد شاهر ضامن " و" ريما شاهر ضامن " : شقيقتان من الأردن وكلتاهما من كليــة الآداب .. وكنت أتصور أن نظام (بيت الطالبات) فى بيروت يماثل بيــوت الطالبات عندنا : مشرفــة صارمة متجــهمة الوجه تحمل مــدفعا رشاشاً (تذود) به عن (رعيتها) ، ولاتسمح بدخول رجل إلــى البيت إلا إذا كان – على الأقل – والد الطالبة ، وبعد أن تتأكد مــن

ذلك بالإطلاع على بطاقته الشخصية والعائلية وبطاقة التموين ، وإذا دخل يجلس فى غرفة استقبال بعيدة جداً عن البنات ، وتأتى البنت المطلوبة لتجلس مع أبيها أو قريبها وقد جلست فى وسطهما المشرفة تحدجهما بنظراتها النارية المليئة بالشك ، وتراقب كلامهما أحسن يكون فيه حاجة كده والا كده ، وفى السابعة مساءً تماماً تحمل المشرفة الزائر من قفاه لتلقى به إلى خارج (بيت الطالبات) ، وسبعة ونص تكون الطالبات جميعهن فى السراير ، وثمانية ينطفئ النور وهس ولا كلمة !! .. أتصور أن هكذا شكل الحياة فى بيوت الطالبات عندنا .. أما فى بيروت فقد فوجئت برفيقتى " ماجدة حسنى " تخرج من حقيبتها مفتاح الشقة التى بها (بيت الطالبات) وتفتح الباب بنفسها وتدخل وتصحبنى وراءها إلى أعماق البيت ، فلم أجد مشرفة معها مدفع رشاش ولا مدفع بازوكا ، بل ولم أجد مشرفة أصلا على الإطلاق .. وعرفت أن كل بنت مقيمة فى (بيت الطالبات) معها مفتاح للشقة تدخل وتعود كما تريد وفى أى وقت تشاء .. وتحيا البنات معاً حياة واضحة صريحة منفتحة ومنطلقة .. وكنت قد إنتهيت تقريباً من الحديث الرسمى مع البنات – الذى للنشر – نحو الثامنة مساءً وتهيأت للإنصراف ظناً منى أن ذلك الموعد قد يكون – زى عندنا – هو موعد كنس البيت من الضيوف

الغرباء .. لكن البنات قلن لى : " إنتهيت من أسئلتك لنا ؛ ما تيجى بأه نقعد (شوية) قعدة عادية كأصدقاء – لغير النشـــر – ونســـألك إحنا " .. وطالت هذه الـــ (شوية) فلم تنته ، وبالعافية ، إلا قرب الثالثة صباحا !! ..

وخرجت من (بيت الطالبات) فى حى الجامعة فى بيروت فى الثالثة صباحاً لأتمشى وحيداً إلى فندقى فى ساحة الشهداء وأنا أفكر طول المسافة : من الذى على حق : عندنا والا عندهم " !؟ ..

قـــرأت فـــــى

صحف الصباح اللبنانية اليوم أن عصابة مسلحة قد خطفت صحفياً سودانياً يقيم فى بيروت !! .. لا أستطيع أن أتصور ماذا ستســـتفيد هذه العصابة من خطف صحفى .. فديـــة مـــثلاً !؟ .. لا أظـــن ، فالصحفيون رغم مرتباتهم الكبيرة هم أفلس خلق الله عامة ، لأنهـــم ينفقون أسرع مما يكسبون .. أو لعل هذه العصابة تفكر فى إصدار جريدة أو مجلة تنطق بلسان حالها ومزنوقين فى رئيس تحريـــر !! .. ثم : إن لى الآن فى بيروت أكثر من عشرة أيام ؛ فلمـــاذا لـــم يخطفنى هؤلاء الناس !؟ .. يبدو أننى لست مشهوراً بالقدر الكـــافى بعد ..

فـــى
الصباح

كـــنـــت على موعد مع الصديق " أمير غنى الصـــريف " مـــن شبان السفارة المصرية فى بيـــروت .. جاءنى " أمـــير " متأخـــراً عن موعده نصف ساعة وقد بدا عليه الضيق والعكننة : " خير يـــا أمير .. مالك " !؟ .. يحكى لى " أمير " سبب تأخره فينتقل ضـــيقه وعكننته إلىّ أنا أيضاً : البوليس اللبنانى ضبط عصابة شبان تسرق المحلات التجارية فى مدينة (صيدا) القريبـــة مـــن بيـــروت ، وبالتحقق من شخصياتهم إتضح أنهم جميعا من طلبة مـــن جامعـــة بيروت العربية ، وللأسف الشديد كان عـــدد منهم مصريـــــون !! .. وكانت حجـــتهم فى ذلك هو أنهم : " يســـتكملون مصـــروفات الدراسة فى الجامعة " !! .. حاجة ظريفة جداً .. كـــان ممكنـــاً ألا يقعوا فى أيدى البوليس اللبنانى ، ويظلوا هكـــذا يســـرقون حتـــى يتخرجوا من الجامعة فى بيروت ، ثم يعودوا إلى القاهرة ليعيـــنهم مكتب القوى العاملة فى شركات القطاع العـــام .. علشـــان تبقـــى رسمى !! ..

مؤكد أن هناك وسيلة أو أخرى لفحص حالة كل طالب مصرى يتقدم للسفر للدراسة والإلتحاق بجامعة فى الخارج ، ولـــيس فـــى بيروت وحدها ، فيكون هناك سبيل للتأكد من أن أهله قادرون على

الإنفاق عليه فعلاً فى الخارج بشكل مرضى حتى لا تتعرض سمعه بلدنا فى الخارج إلى ما يسيئها بسبب تصرفات مثل هذه ..

وفى الوقت الذى يقدم فيه عدد من الطلبة المصريين على السرقة (لاستكمال مصروفات الدراسة فى الجامعة) ؛ يكون هناك طلبة آخرون ، مصريون أيضاً ، يعملون .. مثل " عادل " الذى يعمل جرسونا فى كافيتيريا (الشروق) القريبة من الجامعة ، برضه حتى يستكمل مصروفات الدراسة فى الجامعة .. الغرض واحد فى الحالتين ، لكن شتان بين الوسيلتين !! ..

أخــونا

وديــع

الصافى فنان لبنان الكبير .. طلبته فى التليفون فى بيته ، رد على صوت جذل طروب مغرد يشع بالفرحه والسعادة .. سألتنى فى صوت مبتهج : " مين بيريده !؟ " .. قلت : " حسين قدرى ، صحفى من القاهرة " .. قالت : " أهلاً فيك .. وليش بتريده !؟ " .. قلت لها مداعباً وقد مست أوتار قلبى سعادتها البادية عبر التليفون وصوتها الجذل : " بأريده لأنه وديع الصافى " .. فضحكت وهى تقول ، وأنا أشعر أنها تريد أن تبلغنى رسالة : " بحياتك لا تشغله منا كثير لأنه هو وراه مشاغل كتير اليوم .. بيزوج بنته " !!

.. فهمت الرسالة فوراً ، قلت لها : " ماكنت باعرف إن وديع عنده بنات كبار فى سن الزواج .. أنت العروس ؛ موهيك " .. قالت وصوتها يغرد بضحكاتها : " هيك . هاك البابا معاك " .. وكلمنى البابا " وديع الصافى " أبو العروس ، أحدث مشروع (جِد) فى الوسط الفنى البيروتى .. " وديع الصافى " هو " وديع الصافى" لا يتغير : إذا رأيته على المسرح أو قابلته شخصياً أو سمعته فى التليفون .. رمز مجسد للمرح وللشخصية اللبنانية الأصيلة المرحة .. أتصور لو أن لبنان شاء يوماً أن يغير شعاره من شجرة الأرز فلن يختار بديلاً عنها غير صورة " وديع الصافى " !! ..

إتفقت مع " وديع " على أن أتصل به فى المساء لنلتقى فى نفس الليلة ، لكن شاءت الظروف أن أنشغل أنا فى تلك الليلة ، وينشغل هو بعد ذلك بزواج إبنته " دينا " إلى عريسها " نقولا إلياس الحداد " .. فيتأجل اللقاء بيننا إلى موعد آخر ، قد يكون فى بيروت وقد يكون فى القاهرة ، وقد يكون فى أى مكان آخر فى العالم ..

رغم

أننى

منذ وصلت إلى بيروت وأنا لا أنام عادة قبل الخامسة صباحاً ، إلا أننى لا أستطيع أن أواصل النوم بعد السابعة .. الضجة التى

تملأ الساحة تحت فندقى كفيلة بإيقاظ الموتى منذ عهد الفراعنة .. مئات السيارات التى تقف حول الميدان فى انتظار زبائن الصباح المبكرين المتجهين إلى دمشق فى سوريا على بعد ساعتين ، أو المتجهين الى طرابلس فى لبنان على بعد ساعة ، أو إلى الجبل أو بعلبك أو جعيتا أو التليفريك أو إلى أى مكان آخر قريب أو بعيد .. سيارات جديدة فارهة فاخرة أنيقة ، وكله بالنفر وكله بالليرات : إلى دمشق أو إلى الشام كما يطلقون على سوريا فى لبنان ؛ بخمس ليرات ، إلى طرابلس أو بعلبك بليرتين ، إلى مغارة (جعيتا) التى تذكرك بفينيسيا ، بليرة ونصف ، إلى التليفريك بليرة ..

لـــــذا

يدهشنى

أن أجد أن سيارات التاكسى فى بيروت أكثر من عدد السائرين على الأقدام .. فرغم قسوة وعنف وصرامة رجال شرطه المرور فى بيروت مع سائقى التاكسيات الذين لا يجرؤ واحد منهم على ارتكاب أية مخالفة مهما كانت بسيطة ، فيكفى أن ينفخ شرطى المرور فى صفارته لتتوقف على الفور كل سيارات التاكسى التى تكون مارة فى تلك اللحظة فى نطاق عينيه ، وبلا أدنى معارضة

أو جدل أو مقاومة أو لماضة يسحب شـــرطى المـــرور رخصـــة السائق ويضعها فى حقيبته ويكتب له إيصـــالاً بهـــا .. ومادامـــت رخصة السائق قد سحبت منه فإن عليه أن ينزل من السيارة على الفور ويقفلها بالمفتاح ويتركها حيث هى ، فمع عســـكرى المرور اللبنانى مفيش يا امه ارحمينى !! ..

ورغـــم

ذلـــــك

فسائقو التاكسيات فى بيروت ملوك فى بيـــروت تحمـــيهم الدولـــة ويحميهم نظام التاكسيات .. فإن عدد التاكسيات فى بيروت محدود بـــ ١١ ألف تاكسى فقط .. وإذا أراد شخص أن يشغل تاكسياً جديداً فإن الحكومه نفسها لا تستطيع أن تعطيه ترخيصاً (!!) ، إنما عليه أن يشترى ترخيصاً قديماً من واحـــد مـــن أصـــحاب التاكســـيات المصرح بها فعلاً يكون قد قرر أن يستغنى عنه لأى ســـبب مـــن الأسباب .. وفى هذه الحالة يدفع لصاحب الترخيص القـــديم ثمنـــاً مهولاً له قد يصل إلى نحو ٣٠ ألف ليرة لبنانيـــة – ٧٥٠٠ جنيـــه مصرى – وإذا أرادت الحكومه اللبنانية أن تصرح هى بنزول عدد آخر من التاكسيات الجديدة إلى السوق بتراخيص جديدة تمنحها لها هى ؛ فإن ذلك معناه أن إيراد كل التاكسيات الموجودة فعلا سيقل ،

وفى هذه الحالة تدفع الحكومة تعويضاً لكل صاحب تاكسى من القدامى قدره ١٨.٨٠٠ ليرة !! .. وإقسم على ٤ تجد أنها تقل قليلاً عن خمسة آلاف جنيه مصرى !! ..

ظريف جداً لبنان .. فيها حاجات كثيرة مش قادر أفهم لها معنى ، لكن دمها خفيف !! ..

تذكرت

هالة

فاخر .. فمررت عليها فى المسرح بدرى ، لكننى وجدت المسرح مغلقاً ، فاندهشت .. المفروض أنه شغال الآن ، فلا زالت الساعة العاشرة مساء .. تطوع بعض أولاد الحلال من المارة ليخبرونى أن اليوم – الإثنين – أجازة المسرح .. ودلونى أيضاً على أن للفنان " شوشو " مكتباً فى العمارة المواجهة .. صعدت إليه لأسأل على الاقل عن نمرة التليفون الممكن أن أجد فيها " هالة " .. وجدت سكرتيرة حسناء – وكلهن هنا حسناوات – تكرمت مشكورة فطلبت لى " هالة " على التليفون فى بيتها .. ما أن سمعت " هالة " صوتى فى التليفون وعرفت أننى فى بيروت حتى سألتنى على الفور : " وراك إيه دلوقتى !؟ " .. قلت لها : " ولا حاجة " .. فقالت : " طيب تعالى لى حالاً " وأعطتنى عنوانها .. ذهبت إليها حالاً فأخذتنى من يدى من على الباب إلى الحمام مباشرة

.. كانت منهمكة فى لصق رسومات ملونة من البلاستيك الشفاف على مربعات قيشانى الحمام ليبدو شكله ظريفاً !! .. ولما لم يكن فى نيتى أن أقضى باقى أجازتى فى بيروت ألصق رسومات ملونة على جدران حمام هالة فاخر ؛ فقد سحبتها من يدها لنجلس فى فراندتها الرشيقة التى تطل على أجمل منور عمارة رأيته فى حياتى أول مرة أرى حديقة خضراء مزروعة فى منور عمارة !! ..

وتحكى لى " هالة فاخر" قصة مغامرتها التى انتهت بها إلى قرار أن تنقل نشاطها الفنى إلى بيروت وتقيم فيها إقامة دائمة : كانت تمثل على المسرح الكوميدى فى القاهرة فى مسرحية (الملوك يدخلون القرية) حين كان المنتج السورى " تحسين القوادرى " يزور مصر وشهد المسرحية ؛ فاتفق مع " هالة " على أن تشترك فى بطولة فيلم سينتجه ويصوره فى دمشق إسمه (مقلب حب) مع " ناهد يسرى " والممثل السورى " محمود جبر " .. قبل أن تذهب " هالة " إلى دمشق رأت أن تمر على بيروت لتشترى الملابس التى ستظهر بها فى الفيلم .. وتصادف أن كان مهرجان بعلبك الفنى السنوى مقاماً فى ذلك الوقت فذهبت لتحضر حفلة من حفلاته ، وفيها قابلت الممثل اللبنانى " حسن علاء الدين " الشهير بـ " شوشو " الذى كان قد رآها من قبل فى القاهرة وهى تمثل مع فرقة (ثلاثى أضواء المسرح) ، فطلب منها أن تتعاون معه فى

فرقته التى ستبدأ موسمها قريباً .. ووافقت " هالة " طبعاً .. حد يكره !؟ .. فذهبت إلى دمشق وانتهت من تصوير الفيلم ، ثم عادت إلى بيروت لتشترك مع فرقة شوشو فى بطولة مسرحية (جوة وبرة) المأخوذ عن رواية " موليير " (مقالب سكابان) .. وتعجب " هالة " بروح العمل وشكل العلاقة الموجودة بين أفراد الفرقة ، فتقرر أن تنقل نشاطها الفنى إلى بيروت وتقيم فيها إقامة دالمة ، على الأقل لعدة سنوات تعود بعدها إلى القاهرة من جديد .. وحين إتخذت هذا القرار كان لا بد من إعتماده من الجهات العليا : ماما .. فخطفت رجلها يومين إلى القاهرة حيث أقنعت ماما وعادت .. وكانت فى البداية تقيم فى فندق ، لكنها بعد فترة إستأجرت هذه الشقة : غرفة واحدة وصالة فى حى الحمراء بـ ٣٦٠٠ ليرة فى السنة أو ٣٠٠ ليرة فى الشهر – ٩٠٠ جنيه مصرى فى السنة / ٧٥ جنيهاً مصرياً فى الشهر – وبدأت تؤثثها بأثاث مستعمل تشتريه من المزادات أو من محلات بيع الاثاث المستعمل : إشترت براد – ثلاجة – وغسالة وبوتاجاز بالتقسيط المريح على مليون شهر ، واشترت دولابين للملابس وكنبة ستوديو ونجفتين وأبليكات وجرس موسيقى للباب ، ومرتبة مطاط تنام عليها الآن على الأرض ، فإن السرير لم يصل بعد : دفعت عربونه وسيصل بعد يومين !! وإن شاء الله لما تيجى المرة الجاية– دى هالة بتقول لى –

حاتلاقى الشقة بقت هايلة وكومبليت من جميعه ، فبكـــرة ربنـــا يفرجها بشغل الإذاعة والتليفزيون والسينما وأســـدد كـــل الأقســـاط وتبقى الأشيا معدن !! ..

كنت أظن أننى وحدى الذى يتصعلك فى بيروت !! ..

مـــــن

الشارع

رفـــعت سماعة التليفون لأتصل بالتليفزيونية المصرية القديمـــة " ليلى رستم " التى تعيش فى بيروت الآن ومنذ خمـــس ســـنوات ، وتعمل فى فى تليفزيونها .. كانت " ليلى رستم " سعيدة ومتـــأثرة جداً وهى تستقبل لهجتى المصرية فى التليفون .. أنا أيضا كنـــت سعيداً وأنا أستمع إلى صوت " ليلى رستم " بعد خمـــس ســـنوات طويلة لم أرها فيها ولم أسمع صوتها منذ تركت شاشة تليفزيـــون القاهرة ومجيئها إلى بيروت .. موعدى مع " ليلى رســـتم " غـــداً مساءً ..

كـــانت

مفاجأة

غريبة جداً بالنسبة لى : بعد منتصف الليل بكثير ســـمعت نقـــراً على باب غرفتى فى الفندق ، وكنت جالساً مستغرقاً فى الكتابة ..

فتحت فوجدت شاباً لا أعرفه ، سألنى إن كنت أنا فلان الصحفى المصرى !؟ .. فأجبته بالإيجاب .. فقال لى أنه جارى فى الغرفة المجاورة وعرف بالصدفة أننى صحفى ومصرى .. وسألنى : " ممكن أقعد معاك شوية !؟ " .. قلت له : " إتفضل " ، فتفضل ، لينفتح كأنه حنفية باظت جلدتها فى مناقشة سياسية عنيفة لا معنى لها ولا هدف ، إلا أنه فقط يريد أن يشتمنى لأننى مصرى ويشتم مصر وأهل مصر وناس مصر وحكام مصر وكل شئ يمت بالصلة إلى مصر .. : " ايه يابنى فيه إيه !؟ .. إنت مين !؟ .. وعايز إيه بالضبط !؟ " .. فقال لى أنه من شباب الطليعة فى حزب البعث العراقى ويريد أن يناقش معى الأوضاع فى مصر .. قلت له : " طيب وتزعج نفسك بمناقشة الأوضاع فى مصر ليه !؟ .. ما تناقش الأوضاع فى العراق بما إنك عراقى ؛ بس مع حد غيرى لأنى مش فاضى الآن وقاعد أكتب زى ما انت شايف " .. ولكن كان واضحاً جداً فعلاً أن جلدته بايظة وموتور ومعلوماته الواضحة الأكيدة من مصادره الموثوق بها من موجهى شباب حزب البعث العراقى هى أن " جمال عبد الناصر " هو الذى باع فلسطين لليهود سنة ١٩٤٨ (!!) ، وأن السيدة زوجته يهودية يونانية متمصرة (!!) ، ومعلومات كثيرة أكيدة موثوق بها كلها من

هذا النوع وهذا المستوى الذى يوضح مدى (ثقافة) و(معرفة) شباب البعث العراقى العالمين ببواطن الأمور والعارفين لأدق الأسرار فى الدنيا كلها .. وختم مرافعته البليغة بأن قال فى لهجة مسرحية رائعة : " أنا لا أعبد الله الذى فوق سماء مصر .. ولو كان إصبعى مصرياً لقطعته " !! .. فقلت وأنا أشيعه إلى الباب وأغلق الباب وراءه : " والله يا أخى كنت أتمنى لو كانت رقبتك أو لسانك على الأقل هما المصريان " .. وأغلقت الباب وراءه مع تمنياتى الطيبة بأن يكون فى انتظاره على باب اللوكاندة ولو إثنان فقط من بتوع (أيلول الأسود) يريحاه من عصبيته الزائدة !! ..

فلفل وكمون وشطة ..

فى تليفزيون بيروت !! ..

يلـــفت

النظـــر

جـــداً فى بيروت غرامهم الشديد – أكثـــر منـــا – بالإعلانـــات والملصقات التى تملأ كل الجدران .. عندنا يحدث ذلك فى مناسبة أيام الإنتخابات فقط ، وعندهم يحدث من غير مناسبة .. كل مـــن هفته نفسه وطلعت فى دماغه يعمل ملصـــقات لأى ســـبب يعمـــل ملصقات ويلزق .. حتى الموتى ، يعلن عنهم وعن وفاتهم وعـــن ذكرى الأربعين والذكرى السنوية لهم بإعلانـــات تلصـــق علـــى الجدران : " والد فلان وفلان وإبن عم فلان وقريب ترتان وعلان ، ولا أرانا الله مكروها فى مرحوم لديكم " .. نزعت واحـــداً مـــن إعلانات الوفيات هذه من على عامود نور فى الشارع واحتفظت به للذكرى .. إحتفظت بالإعلان طبعاً وليس بعامود النور ..

فـــى
الأيـــام

الأخيرة إزدحمت بيروت بعدة آلاف من الشبان الذين عادوا إليها من الأجازات التى قضوها فى أوطانهم الأصلية بعد انتهاء العطلـــة الصيفية للجامعات هنا .. فجامعات بيروت الثلاث تبدأ الدراسة فيها يوم الإثنين القادم ..

فى بيروت ثلاث جامعات : الجامعة الأمريكية ، وهـــى أقـــدم وأغلى الجامعات فى لبنان ، فمصروفات الدراسة بها تصـــل إلـــى ٥٠٠٠ ليرة أو نحو ١٢٥٠ جنيهاً مصرياً فـــى الســـنة الدراســـية الواحدة – للطالب الواحد طبعاً وليس لطلبة الجامعة كلهم كما قـــد يتبادر إلى ذهن الذين يتعلمون بالمجان عندنا !! – لذا فهى جامعة أولاد وبنات الذوات والناس الأغنياء فـــى لبنـــان .. و(الجامعـــة اليسوعية) أو (جامعة اليسوعيين) ، التى تحصل من الطالب أو الطالبة على ٣٠٠٠ ليرة لبنانية كمصروفات للدراسة – ٧٥٠ جنيهاً مصرياً – وهى تأتى فى المرتبة الثانية بعد الجامعة الأمريكيـــة .. ويرحب اللبنانيون المقتدرون بإرسال بناتهم وأولادهم إليها ..

ثم تأتى (جامعة بيروت العربية) ، وهى فرع لجامعة القاهرة عندنا مثل جامعة الخرطوم بالسودان التى تتبع جامعة القـــاهرة ..

ومصروفات جامعة بيروت العربية تتراوح بين ٣٥٠ ليرة فقط فى السنة – نحو ٩٠ جنيهاً مصرياً – فى كليات الآداب والحقوق والتجارة ، و ١٠٥٠ ليرة فى كلية الهندسة المعمارية – نحو ٢٦٠ جنيهاً مصرياً – لذا ؛ لقلة المصروفات الدراسية فيها فإن الأغلبية العظمى من طلبة وطالبات جامعة بيروت العربية من المصريين والسوريين والأردنيين والفلسطينيين ، وقلة جداً من اللبنانيين .. ربما لأن اللبنانيين ، كما سمعت ، يرون أن الدراسة فى هذه الجامعة يوم آه وعشرة لأ ، وكل إضراب يحدث فى البلد – ولبنان إضراباتها كثيرة – تتعطل له الدراسة فى الجامعة لكى يشارك طلبتها فى الإضراب !! .. ورغم أن الطلبة والطالبات لا يذهبون إلى الجامعة بانتظام لكن طالما أنهم يدفعون المصروفات الدارسية بانتظام فهم غالباً ينجحون ويحصلون فى نهاية السنوات الأربع على الليسانس .. ودمتم !! ..

لست

أدرى

لماذا ترتبط المدن التى أحبها فى تفكيرى دائما بالنساء .. دائماً أشبه القاهرة بسيدة حسناء متزنة فى الأربعين ، ذات جمال أصيل عريق ثابت لا تؤثر فيه السنون إلا بالزيادة فى العظمة والشموخ والأصالة

.. أنا من عشاقها المتيمين .. وأشبه الإسكندرية بفتاة جميلة أنيقة رشيقة مجلوة دائماً لكنها عاقلة ؛ جمال ورشاقة وعقل سن الـ ٢٨ ونضوجه وسحره وأنوثته ؛ وأنا أيضاً من عشاقها المتيمين .. وأشبه بيروت بصبية السادسة عشرة التى اكتملت إستدارتها وتفتحت أكمامها الغضة الطرية وأصبحت شهية جذابة مصقولة رشيقة أنيقة مرحة متوثبة متفجرة منطلقة كتفاحة حمراء زاهية تنتظر ، فقط ، اليد التى تمتد لقطفها ، وأنا – برضه – من عشاقها المتيمين .. فأنا عائق متيم لكل : المدن .. علشان ما حدش يفهمنى غلط !! ..

بيروت ، الصبية الجميلة المنطلقة المتوثبة .. فيها فعلا كل انطلاق وتحرر وصخب وتفجر وحيوية فتاة السادسة عشرة الجريئة التى تتعامل مع الجيرك والسيكولوجى والتوبست والهالى جالى .. بيروت هكذا فى كل شئ .. ولكى تعرف كيف يعيش شعب إقرأ صحافته ..

فى بيروت تحتاج إلى ميزانية خطيرة ويوم طوله ١٠٠ ساعة لو شئت أن تشترى وتقرأ كل ما يصدر فيها يومياً من صحف ومجلات على كل شكل وصنف ولون .. الصحافة هنا حزبية داخلياً ودولية خارجياً .. كل حزب هنا له صحافته التى تناصره وتضرب

بسيفه إذا كان فى مقاعد الحكم ، وتشتم الحكومة وتعارضها إذا كان الحزب خارج الحكم ، فتهاجمها من أجل ناظر مدرسة إعدادية إنتقل من (صور) إلى بيروت ، أو دفاعاً عن " ليلى رستم " إذا أوقفت الحكومة برنامجها لأنها إستضافت صحفية لبنانية وصفت مجلس النواب اللبنانى بأنه (زريبة) .. ستجد هنا صحفاً ومجلات تنطق بلسان كل دولة فى العالم .. ستجد جرائد تتكلم بإسم العراق أو السودان أو سوريا أو مصر أو أمريكا أو إنجلترا أو السعودية أو الكويت ، حتى إمارات الخليج الصغيرة لم تعدم جرائد ومجلات – صغيرة مثلها – تنطق بلسانها ..

وغير الصحافة السياسية هناك نوعان آخران من الصحف : مجلات فنية ، ومجلات جنسية !! .. فعلا ، مجلات جنسية صريحة ومباشرة ، حتى فى أسمائها التى تضعها على أغلفتها وفى رسالتها التى تعلنها على صفحتها الأولى .. مجلات لها أسماء مثل : (شقق مفروشة) و(الجنس) تعلن فى افتتاحيتها أن محررتها أو رئيسة تحريرها إسمها " كذا " – وهو غالباً إسم من مقطع واحد أو إسم مستعار – وتعلن المحررة أو رئيسة التحرير ببساطة جداً أنها (جربت) الرجال فى سن الرابعة عشرة ومن يومها وهى تتنقل بين عشرات الرجال فى عشرات الشقق المفروشة !! .. وتنشر صحافة

الجنس البيروتية المطبوعة بالألوان طباعة شديدة الأناقة كلاماً كالذى قرأناه ونحن تلامذة مراهقون فى كراسة إسمها (مذكرات إيفا) مكتوبة بخط اليد كنا نتداولها فيما بيننا وجميعنا لا نعرف مصدرها ولا من أين جاءت .. وكنت أتصور أن هذه المجلات تباع فى السر وفى الخفاء بطريقة : " تشترى صور عريانة يابيه " ؛ لكننى وجدتها مرصوصة ومعروضة علناً على قارعة الطريق مع باعة الصحف فى كل شوارع بيروت ، وثمنها ليرة كاملة ، يعنى ضعف ثمن أى مجلة سياسية تصدر فى بيروت .. واللى يعيش ياما يشوف واللى يروح بيروت يشوف أكتر !! ..

وليست

صحافة

بيروت فقط هى التى تتمتع بهذا القدر من الحرية ؛ وإنما السينما أيضاً .. فيبدو أن الرقيب هناك ضاع منه مقصه ولم يجدد بدله ، أو أنهم لم يسلموه مقصاً من الأصل ، أو أنه – وهذا هو الأكثر احتمالاً – ليس هناك رقيب على الإطلاق .. فهناك عدد من دور السينما تعرض أفلاماً ظريفة جداً ، لو رأها مدير عام الرقابة على السينما فى مصر لوقع من طوله وطب ساكتاً ، أو أطلق عليها

النار بدلاً من أن يطلق عليها مقصه .. أفلام مكشوفة جداً إلى حد التقزز أحياناً .. و : " والله إحنا بنعرض الفيلم ومش بنضرب حد على إيده علشان ييجى يتفرج عليه .. اللى عاجبه الأفلام دى يشرفنا واللى مش عاجباه ما يجيش .. إحنا أحرار وهو حر " .. وبا أيتها الحرية كم من الأشياء – الظريفة – ترتكب بإسمك !! ..

الخامسة

مساءً

موعدى مع " ليلى رستم " نجمة التليفزيون المصرية التى هجرت شاشتنا وهى ألمع نجومها لتعيش فى بيروت وتستقر فيها منذ خمس سنوات ، ولا يترك التليفزيون اللبنانى هذه الفرصة التى جاءته لحد عنده ؛ فيقتنص " ليلى " لتقدم على شاشة بيروت العديد من برامجها..

فشلت محاولة " ليلى " بالأمس فى أن تصف لى فى التليفون مكان بيتها فى حى الأشرفية ؛ فاتفقنا على أن نلتقى على باب تليفزيون بيروت فى الخامسة مساءً .. وفى طريقى إليها كانت تدور فى ذهنى خواطر كثيرة : لقد كنت واحداً من الذين هاجموا " ليلى " بقسوة حين كانت تعمل فى تليفزيون القاهرة .. كانت تستفزنى

وتستثيرنى طريقتها فى التقديم وفى التعامل مع ضيوف برامجها .. كانت تجعل لبرامجها طعماً حراقاً لاذعاً حريفاً ، كأنها تبذر فيها كمون وفلفل وشطة .. فما أن اختفت " ليلى رستم " وبرامج " ليلى رستم " من تليفزيون القاهرة وطال غيابها وافتقدت – أنا وغيرى – طعم البهارات والتوابل فى برامج التليفزيون ؛ شعرت كما شعر غيرى من الزملاء الذين كانوا يهاجمونها بأننا ظلمناها ، وأنها لو عادت مرة أخرى لرحبنا بها ألف مرة ولهتفنا لها ألف مرة

وتأتى " ليلى " قبل موعدها بخمس دقائق ، وكنت أنا قد وصلت أيضاً قبل موعدنا بعشرة دقائق ، لتلتقطنى من على باب التليفزيون فى سيارتها الـ (فيات) الأسبور الزيتى الطويلة الرشيقة ، وتأخذنى معها إلى بيتها الأنيق فى حى الأشرفية فى ضواحى بيروت .. " ليلى " هى كما هى تماماً لم يتغير فيها شئ على الإطلاق على طول السنوات الخمس التى لم أرها فيها .. نفس حجمها الرقيق الدقيق الأنيق التلاميذى ، بل لعلها أصبحت أكثر رشاقة ، ونفس أناقتها وشياكتها اللتين تشعر معها بأن كل ماترتديه هو (أول لبسة) ، ونفس طريقتها المرحة اللاذعة فى الملاحظة والتعليق على كل ماتراه فى طريقنا ، حتى أننى لم أتمالك أن سكتت تماماً وتركت " ليلى " هى التى تتكلم وتتكلم وتتكلم كأننى أملأ أذنىّ

وأشبعهما من صوتها ولهجتها وطريقتها بعد طول غياب .. سألتنى عن كل الناس فى تليفزيون القاهرة بالإسم ، وأبدت سعادتها لعودة الدكتور " عبد القادر حاتم " للإشراف على التليفزيون لأنها تشعر بأنه الأب الحقيقى الشرعى لتليفزيون القاهرة وتعلم مدى حبه الشديد لهذا الجهاز .. وقالت لى أنها زعلت جداً حين عرفت أن " نجوى إبراهيم " مثلت فى السينما ، وأنها قالت لها ذلك شخصياً حين التقت بـ " نجوى " فى بيروت ، لأنها – " ليلى " – تؤمن بالتخصص وأن : " ياهيك ياهيك " على رأى اللبنانيين ، يعنى (يا كده يا كده) بالمصرى .. وقالت أيضاً أن " حمدى قنديل " كان فى بيروت قريباً والتقت به .. و .. و.. كلام كثير قالته " ليلى رستم " دون أن أفتح أنا فمى إلا نادراً على طول المسافة من منطقة (الرملة البيضاء) حيث تليفزيون بيروت حتى حى (الأشرفية) حيث بيت " ليلى " ..

ليلى

رستم

حين تركت تليفزيون القاهرة فى أواخر عام ١٩٦٦ لم يكن هناك سبب فعلاً إلا أن زوجها الأول " حاتم الكردانى " كان قد

انتقل إلى بيروت بحكم عمله ؛ فجاءت معه كأى زوجة تنتقل مع بيتها وأسرتها الصغيرة وراء زوجها .. ولم تبدأ عملها ، أو لنقل : تعاملها ، مع تليفزيون بيروت إلا بعد وصولها إلى هنا بنحو سنة كاملة .. وهى ليست موظفة معينة فى تليفزيون بيروت ؛ إنما هى تتعامل مع (القناة رقم ٧) بالقطعة : تقدم برنامجاً فتتقاضى عنه أجراً ، هكذا فقط .. وبهذا النظام من التعامل قدمت عدداً من البرامج الناجحة التى تقول " ليلى " نفسها أن لهجتها المصرية وقفشاتها المصرية خلقت لها جمهوراً كبيراً من مشاهدى التليفزيون اللبنانى ، خصوصاً وأن التليفزيون فى لبنان ليس له الأهمية الكبيرة عند اللبنانيين مثل التى لتليفزيون القاهرة عند المصريين .. لأن مفيش لبنانى يقعد فى بيته بعد الساعة ٨ مساءً : يا عازم يا معزوم يا خارج يسهر برة .. فأنا – " ليلى " طبعاً هى التى تتكلم – : " إعتبرت منتهى النجاح إنى قدرت أرغم الناس فى لبنان إنهم يقعدوا يسهروا فى البيوت يوم الأربعاء من كل أسبوع ، الوقت اللى كانت بتتذاع فيه برامجى " .. قدمت " ليلى " عدداً من البرامج مثل : (نجوم على الأرض) الذى كان يعتبر توأم برنامجها الشهير فى تليفزيون القاهرة : (نجمك المفضل) ، وقدمت منه ٢٦ حلقة .. وبرنامج (أهل الفكر) الذى قدمت منه

١٣ حلقة .. و(الجائزة الكبرى) الذى يشبه برنـاج (أوائـل الطلبة) عندنا فى القاهرة .. ثم برنامج (سهرة مـع الماضـى) الذى قدمت فيه ٥٠ شخصية من كبار الشخصيات اللبنانيـة التـى ساهمت فى صنع تاريخ لبنان الحديث .. وأخيراً برنامج (حـديث الناس) الذى تسبب فى آخر حلقاته فى الأزمة التى حدثت بسـبب كلمة (زريبة) التى قالتها ضيفة البرنامج الصـحفية اللبنانيـة " علياء الصلح " وصفاً لمجلس النواب اللبنانى ، فأوقفت الحكومـة البرنامج ، وأوقفت معه " ليلى رستم " كما شرحت فى فصل سابق

وأتصور
أنـا أن

هـذه فرصة لعـودة " ليلى رستم " إلى تليفزيـون القـاهرة ، لكنها تقول لى بدهشة شديدة : " إزاى !؟ .. إنت ناسى إنـى أنـا متجوزة الآن من لبنانى ومقيمة وعايشة مع زوجى وبنتى فى لبنان !؟ .. أنا موجودة فى لبنان بحكم ظروفى الإجتماعية العائلية وليس بحكم عملى فى التليفزيون .. يعنى كون إنى أترك تليفزيون لبنان – سواء كان هذا الترك مؤقتاً أو على طول – فده لا يعنى أبداً أنى أترك لبنان نفسها ، لأن جوزى فى لبنان وبيتى فى لبنـان .. وده هو السبب الوحيد اللى بيمنعنى من العودة إلى القاهرة .. كما أننى

– فى الحقيقة – حتى لو كان هناك افتراض أن أعود إلى تليفزيون القاهرة لا يمكن أن أعود بنفس وضعى القديم الذى تركته وأنا فيه : موظفة بـــ ٣٥ جنيه فى الشهر .. لكنى أستطيع – إذا كانت دى رغبة جمهور المشاهدين فـــى مصـــر ورغبـــة المســـئولين فـــى تليفـــزيون القاهرة – أستطيع أن أكون مراسلة لتليفزيون القـــاهرة فى لبنان ، فيكون ده حل وسط يرضى الأطراف الثلاثة : يرضى جمهور تليفزيون القاهرة إذا كان لسه عايز يشـــوفنى ، ويرضـــى المسئولين فى تليفزيون القاهرة ، ويرضينى .. كمان ممكن إنـــى أروح القاهرة أقعد أسبوعين ثلاثة كل كام شهر أسجل عدة حلقات من برنامج أقدمه هناك ، وأرجع بيروت أقعد فترة مع أسرتى ثـــم أعود إلى القاهرة ، وهكذا .. لكن أروح القاهـــرة وأســـكن وأعمل بيت وأسيب بيتى هنا وزوجى هنا وبنتى هنا وجمهورى هنا ، فلا أظن ..

ســـألت

ليلى إن

كانـــت القاهرة لم توحشها !؟ .. فقالت : " جداً جداً .. خصوصاً أنى لم أر القاهرة منذ آخر مرة زرتها فيها فى سبتمبر ٦٧ .. رغم أنها (فشختين) بلغة إخواننا اللبنانيين أو (فركة كعـــب) بلغتنـــا

إحنا .. يمكن لأنه لم يكن هناك سبب يستدعى نزولى إليها ، كمان يمكن لأن القاهرة كلها بتيجى لى لحد هنا .. فكثرة وجود المصريين فى بيروت جعلتنى أشعر دائماً أننى لم أبتعد كثيراً عن القـــاهرة .. وفى الحقيقة هنا برضه قدرت أعمل حاجات كتير كان نفسى أعملها من زمان ومكانشى عندى وقت لها : عملت رحلة لأوروبا إستمرت شهرين لفيت فيها أوروبا كلها بالسيارة والقطار والطائرة والســفينة وكل وسائل المواصلات المعروفة وغير المعروفة .. كمان رحـــت اليابان قعدت ٣ أسابيع ، ومسافرة لندن بعد أسبوعين لمدة ١٠ أيام أنا و" منير " ..

الحديث

مـــــع

ليـــلـــى رستم متحرك ومتدفق وممتع ومتنوع ، وتنتقل به مـــن موضوع لموضوع ومن الشرق إلى الغرب ببساطة وسهولة ويسر تجعل الوقت يمضى دون أن أشعر به .. وهكذا قضيت فى صحبتها خمس ساعات كاملة لم أفكر خلالها مرة واحدة فى أن أنظـــر فـــى ساعتى رغم أننى كنت مرتبطا بعدها بثلاثة مواعيـــد أضـــطررت للإعتذار عن إثنين منها بعد فوات وقتهما ، ولم ننتبه إلى الوقت إلا

حين وصل زوجها " منير طقشى " مدير عام تليفزيون بيروت عائداً من مكتبه قرب العاشرة مساءً ..

وتنزل معى " ليلى " لتوصلنى حتى ناصية الشارع الصغير الذى يقع فيه بيتها ، ولا تتركنى حتى تسلمنى بنفسها لسائق التاكسى وتطمئن على ركوبى ..

بينى وبين " ليلى " موعد آخر بعد غد .. دعتنى لتأخذنى فى سيارتها الإسبور الرشيقة لتصعد بى جبل لبنان لتفرجنى على بيروت ولبنان من أعلى الجبل .. طيبة أوى الست دى !! ..

فردوس ولواحظ وعيوشة ..

" أرتشتات " !!..

قـــــد

يثـــيـــر

رعـــب الوافد المحدث إلى بيروت للوهلة الأولى ما يصك سمعه بين حين وآخر من أصوات الفرامل العنيفة للســـيارات وصـــرير العجلات وهى تحتك بالأرض بعنف عند المنحنيـــات والملفـــات ؛ فيظن أن الدنيا إتهدت وأن حادثة فظيعة قد وقعت .. ثم لا تلبـــث أذناه أن تعتاد هذه الأصوات طول النهار والليل بلا مناسبة .. فلا حادثة ستقع ولا السائق يتفادى شيئاً أو أحداً ، إنما هو مجرد مزاج أو (زقزقة) كما يسمونها .. على العموم فإن الملاحظة الواضحة هنا هى السرعة الفائقة المتهورة فى قيادة السيارات فى وسط البلد ، ذلك الشئ الذى لا نراه فى شوارع وسط المدينة فى القـــاهرة أو الإسكندرية أو فى مصر عموماً ؛ حيث العلاقة بـــين الســـيارات

والمارة معقولة ومحترمة إلى حد كبير ، لكن هنا فالشـــوفيرات – السائقون – متوحشون ومفترسون ومنقضون ، وعلاقة الود وحسن الجوار بين السيارات والمارة مفقودة تماماً .. فالسائق والسائر فى الشارع كلاهما بهلوان تماماً ، وإذا لم تكن هناك إشـــارة مـــرور خضراء وحمراء وصفراء فلا تتوقع أن تتوقف لك السيارات حتى تعبر الطريق وإلا فستظل طول عمرك واقفاً على الرصيف تنتظر ، رجلاً كنت أو سيدة ، لكن وأنت فى بيروت عود نفسك على أن تخطف الشارع كراقص الباليه أو يهلـــوان السيـــــرك متخـــــللاً ومتفادياً السيارات المنطلقة بسرعة النفاثات ..

وفـــــى السنوات

الأخـــيرة قفزت بيروت إلى صف الصدارة بـــين الـــبلاد التـــى يشترى منها المصريون سياراتهم ، رغم أن لبنان طبعاً لا تصنعها .. يوفر المصرى نفقات السفر إلى أى دولة أجنبية فـــى أوروبـــا ويسافر إلى بيروت فى سفينة ، فيتكلف – فى الدرجة السياحية – نحو ٢٥ جنيهاً رايح جاى .. ويشترى سيارة مـــن هنـــاك بســـعر ظريف جداً ومناسب جداً ، ويشحنها إلى الإسكندرية بأقـــل مـــن

عشرين جنيهاً والدفع بالعملة المصرية فى مصر .. ومهما دفع عليها من جمرك فى الإسكندرية ستكون أرخص كثيراً مما لو إشتراها من أوروبا ، وأرخص جداً مما لو إشتراها من القاهرة أو من الإسكندرية ..

والسيارات المستعملة فى بيروت أرخص كثيراً من السيارات الجديدة .. السيارة المستعملة التى بحالة جيدة يترواح ثمنها بين ٢٥٠٠ و ٤٠٠٠ ليرة .. لو كنت مقيما فى بيروت فتعامل مع الليرة على اعتبار أنها عشرة قروش مصرية ، يعنى أن ثمن السيارة فى هذه الحالة سيكون بين ٢٥٠ و ٤٠٠ جنيه مصرى .. أما إذا كانت السيارة جديدة فإن ثمنها سيصل إلى ما بين ٨٠٠٠ و ٩٠٠٠ ليرة ، يعنى بين ٨٠٠ و ٩٠٠ جنيه مصرى .. وهذه الأسعار للسيارات من ماركة (مرسيدس) وطالع .. وفى حالة السيارة الجديدة فإنك تستطيع أن تدفع ٣٠٠٠ ليرة مقدماً – ٣٠٠ جنيه مصرى – وتدفع الباقى على أقساط شهرية زهيدة جداً ، تشجع كل موظف صغير وكل طالب فى جامعات بيروت الثلاث على أن يشترى سيارة ويدفع أقساطها من مصروفه !! ..

صـــور

الزعيم

الخالـــد جمال عبد الناصر تملأ جدران الشوارع هنا فى بيـــروت كلها ، والملصقات تحتفى بالذكرى الأولى لوفاته ، وأيضاً تعبيـــراً عن الترحيب بزيارة إبنه " خالد " لبيروت مع فريـــق كـــرة اليـــد المصرى التى تمت منذ فترة قريبة .. الأحياء المسلمة فى المدينـــة علقت الزينات والرايات ولمبات الكهرباء فى شـــوارعها إحتفـــالاً بقدوم شهر رمضان .. وبين حين وآخر وفى كل شارع تقريباً تجد صورة كبيرة مرسومة للزعيم الخالد عبد الناصر معلقة بين الزينات بعرض الشارع .. هطل المطر مرة ظهراً فرفع النـــاس صـــورة الزعيم من وسط الشارع حتى لا تبتل وعلقوها على جدار الشارع نفسه ؛ وفى المساء كان المطر قد توقف ، فعادت الصـــورة إلـــى مكانها فى وسط الشارع مرة أخرى .. الناس هنا يحبـــون " عبـــد الناصر " جداً ، يعشقونه ، مـــدلهون بـــه .. يكفـــى أن يعـــــرف اللـــبنانى أنك من مصـــر ليفتح معك على الفور موضوعاً واحداً لا بديل له : " جمال عبد الناصر " .. يضعونه فـــوق مرتبـــه البشـــر ويعتبرون أنه كان رجل كل العرب وليس رجل مصر وحـــدها .. والترحيب العظيم الذى لقيه " خالد عبد الناصر " حين كـــان هنـــا

والمظاهرات الصاخبة التى خرجت تستقبله فى كل مكان ومئات الآلاف من الرصاصات والأعيرة النارية التى أطلقت تعبيراً عن الترحيب به ، كل ذلك كان تحية موجهة إلى ذكرى والده العظيم ، الذى يرون هنا أنه لا ولن يعوض ..

بالمناسبة ؛ رأيت شارعاً هنا إسمه شارع (السادات) ؛ فسألت " محمود خضر " سائق التاكسى الذى كنت أركبه ، ما إذا كان هذا الشارع قد سمى على إسم الرئيس أنور السادات !؟ .. ففكر السائق قليلاً ثم قال أنه لا يظن ذلك لأنه طول عمره وهو يعرف هذا الشارع بهذا الإسم .. ثم أكمل قائلاً : " إنما يمكن يكون متسمى على إسم والد الرئيس أنور السادات ، لأنه قديم أوى .. هو والد الرئيس السادات كان بيشتغل إيه !؟ " .. قلت : " ممرض يعنى تمرجى " .. قال فوراً : " يبقى مش هو " !! ..

الشوفير

" علـــى

الشريف " .. سائق التاكسى الذى ركبته مساء اليوم – ركبت التاكسى نفسه طبعاً – من السفارة المصرية إلى الفندق الذى أنزل فيه ؛ لست أدرى ما الذى لم يعجبه فى شكلى حتى أنه سألنى دون

منـــاسبة : " وجنابك إيش بتشتغل !؟ .. قلت له : " صحفى " .. ففتح فوراً حديث السياسة ، وانطلـــق هـــو يتحـــدث ويســـأل و- متطوعاً - يجيب ، دون أن ينتظر منى أى مشاركة أو رد .. إنه يقوم بكل العمل مثل (رابسو) .. قال معلقاً على انتخابات رئاسة مجلس النواب اللبنانى التى كانت على أشـــدها خـــلال الأســـبوع المنقضى بين " كامل الأسعد " و" محمود عمار " وفاز بها " كامل الأسعد " .. قال صديقنا الشوفير : " هلق سيدى : أنا اليوم علـــى الكرسى إنت غداً على الكرسى .. هلق إنت تفوت لى اليـــوم أنـــا أفوت لك غداً .. حكامنا هيك هلق : تجيب لهم ســـيرة إســـرائيل يتلبشوا .. حاكيهم فى السياسة كيف ما بتريد ما بتشبع من كلامهم وما بينتهى لهم حكى ، لكن فى السياسة الداخلية .. إنما إسرائيل لا تجيب لهم سيرتها هلق ، يزعلوا منك كتير .. لا تفكـــرهم بيهـــا ، هما عاملين ناسيينها هلق .. شـــو برأيـــك إنت : بتظن فيه حرب هلق ؟! " .. تذكرنى أخيراً ووجه إلىّ سؤالاً وبنتظر الإجابة عليه .. ولأننى لم أفهم معنى كلمة (هلق) التى حشرها فى كل جملـــة من كلامه فبغبغتنى ولخبطتنى وجعلتنى لم أفهم شيئاً ، فإننى لم أجد ما أرد به عليه سوى أن قلت : " ماباعرف .. هلق " !! ..

إذا جئت إلـــــى

بيروت ولم تركب التليفريك المعلق لتصعد به إلى أعلـــى الجبـــل فأنت ما جئت إلى بيروت ولا رأيت لبنان .. ذهبت فى الصباح مع الزميلين " ليلى صالح " و" فتحى الإبيـــارى " لنركـــب التليفريـــك صعوداً من سفح الجبل إلى أعلاه .. المنظر رائع رائـــع وخطيـــر ورهيب ، حين ينظر المرء من التليفريك : العلبة المعدنية الصغيرة الملونة ، التى يجلس فيها حابساً أنفاسه وهو يرى بيـــروت كلهـــا والبحر كله تحت قدميه المعلقتين فى الهواء ، وينظر إلى الســـحاب قريب منه فيشعر أنه أقرب إلى فوق ، إلى السماء منه إلى تحت ، إلى الأرض .. والخضرة تملأ سفح الجبل أشجاراً باسقة لا يبـــين منها إلا قممها .. رائع رائع رائع ، يجعل الإنسان يشعر بالتســـامى والصفاء والإرتفاع ، وبأن قلبه مهصور من شدة التأثر ، بأن قدرة الإنسان الذى صنع ومد التليفريك ، عظيمة ، لكن قـــدرة الله الذى خلق كل هذا الجمال وهذه الروعة حول وتحت التليفريك ؛ أعظم ..

كانت " ليلى صالح " ترى التليفريك وتركبـــه لأول مـــرة فـــى حياتها ؛ فبكت وهى تنظر من شباكه معلقة بين السماء والأرض .. لم أدر إن كان بكاؤها من شدة التأثر بالجمال الذى حولها ، أم مـــن شدة الرعب !! ..

أجـــد نفـــسى

مضطراً أن أسجل هنا آراء عديدة سمعتها تدور حول موضـــوع واحد ، هو موضوع (نوعية) المصريين الذين تسمح لهم الدولـــة عندنا بالخروج من مصر والسفر إلى الخارج عموماً ، وإلى بيروت بالذات .. مثلاً : رأى سمعته من " أمير غنى الصريف " بالســـفارة المصرية فى بيروت ، وهو بحكم موقعه فـــى الســـفارة المســـئول مسئولية كاملة عن كل مايتعلق بالمصريين الوافـــدين إلـــى لبنـــان والعائدين منها والمقيمين فيها .. يقـــول " أميـــر " أن (نوعيـــة) المصريين القادمين إلى لبنان هبطت وتدهورت جداً فى الســـنوات الأخيرة : ٨٠ % منهم لا يجب أصلاً السماح لهم بـــالخروج مـــن مصر على الإطلاق ، ولا حتى إلى شبين الكوم ، لأنهم أميين تماماً فى كل شئ ومن كل النواحى ، وليست لـــديهم أيـــة خبـــرات ولا مؤهلات ولا إمكانيات ولا حاجة أبداً تؤهلهم لأن يعملوا حاجة أبداً – برضه – فى لبنان .. فتكون النتيجة أنهم يعملون أى حاجـــة !! .. وضع تحت بند (أى حاجة) هذه أية تصورات تخطر على بالك ، إبتداءً من السرقة والنصب والإحتيال ، صعوداً إلى أى تصـــور تعتقده .. و ١٥% منهم ، هه ، يادوب يستطيعون – بالعافية – أن

يعملوا شيئاً ما دائم أو غير دائم ، مستقراً او غير مستقر ، من المهن والأعمال المتواضعة إذا لم نقل الوضيعة .. لكن لا هؤلاء ولا أولئك فى مجموعهم مما يشكلون صورة مشرفة للمصريين فى الخارج كما نحب أن نراهم وكما يجب أن يكونوا .. والـ ٥ % الباقين عاديون وليسوا موضع خلاف أو مناقشة ..

نفس الرأى تقريباً ، لكن بصورة أخرى ، سمعته من " ليلى رستم " .. التى قالت لى أن أغلب (الصنف) الوارد من مصر الآن كلهن من ماركة عطيات أو فردوس أو لواحظ أو عيوشة .. كلهن يأتين إلى بيروت بتأشيرات سياحية ، ثم سرعان مايجدن أعمالاً هنا ، إذ أن أى خادمة عديمة الخبرة هنا تتقاضى أجراً لا يقل عن ٣٠٠ ليرة – ٧٥ جنيهاً مصرياً – وهكذا تحولن جميعاً إلى خادمات وطباخات فى البيوت ، وحسب (نوعية) الوافدات فإنه بعد فترة – غالباً لا تطول – تتحول الواحدة منهن إلى أرتست .. وبما أنها ليست لديها مواهب الأرتست – والكلام لا زال لليلى رستم – فإنها فى الحقيقة تتحول إلى (أرتشت) .. وفسر إنت هذه الـ (ش) كما يعجبك فلن تتجاوز الحقيقة بحال ..

وقال لى طالب لبنانى فى جامعة بيروت العربية إسمه " توفيق " أن هناك نوعاً من الخادمات يعملن بالساعة أو باليوم ، بـ ٧ ليرات

- ١٧٥ قرشاً مصرياً - فى المرة الواحدة : إما لتنظيف أو ترتيب الشقة ، أو للغسيل ، أو للمطبخ ، أو (للطبيخ) برضه !! ..

اللهم إنى قد أبلغت ، اللهم فاشهد !! ..

الـ ٢٤ ساعة

الأخيرة لى فى بيروت .. يومى الأخير مزدحم ، وأجندتى ممتلئة بالمواعيد إبتداءً من ٩ صباحاً .. " ليلى رستم " دعتنى إلى رحلة فى الصباح فى سيارتها الإسبور النفاثة لمشاهدة بيروت من أعلى الجبل .. عندى بعدها موعد مع طالبات جامعة بيروت العربية الخمس : المصرية " ماجدة حسنى " واللبنانية " مى محمصانى " والغزاوية " ختام الشوا " والشقيقتان الأردنيتان " سعاد " و" ربما شاهر ضامن " ، لتصويرهن عند صخرة (الروشة) الشهيرة فى بيروت ، صخرة الإنتحار .. كعادة المصريين ساحت المواعيد على بعضها ، فاستأذنت " ليلى رستم " فى أن أدمج الموعدين معاً : موعدها ، وموعد البنات الخمس .. وافقت " ليلى " بترحيب ، فانضمت المجموعتان فعلاً : سعاد وختام وأنا مع ليلى رستم فى نفاثتها الـ (فيات) الإسبور ، و" ماجدة " و" ريما " فى

سيارة " مى " الماكسى الطـــويلة ، رغـــــم أن " مـــى " نفســـها (ميكرو) وصغيرة الحجم جداً !! .. وتنطلـــق القافلـــة الناعمـــة – باستثنائى أنا طبعاً – صاعدة إلى أعلى الجبل تدور مـــع منحنياتـــه وتعرجاته ، وبيروت تتصاغر تتصاغر تتصـــاغر مـــن تحتنـــا ، والمنظر كلما صعدنا إلى أعلى تباعدت بيروت المدينة كأننا نراهـــا من خلال عدسة (زوم) تبتعد بها بالتدريج ، وكلما أصبح المنظر تحتنا أعم وأكثر شمولاً وعرضاً واتساعاً ، حتى يجئ الوقت الـــذى أتصور فيه أننا أصبحنا أقرب إلـــى الســـماء منـــا إلـــى الأرض ، وأتصور أننى أستطيع أن أمد يدى فأمسك بالسحاب ، وأبدأ أشـــعر بثليج لبنان فى الشتاء يتسلل من تحت ملابسى ليصيبنى بالبرودة ، ثم بالصقيع ، ثم بالقشعريرة .. ضحكت علينا " ليلى رستم " ولـــم تتبهنا إلى حكاية البرد هذه حتى نعمل حسابنا بملابس أثقل ؛ فبينما كانت هى ترتدى ملابس شتوية كانت البنات يرتدين الـــــ (ألتـــرا ميكروجيب) أوالبنطلونات الخفيفة ، وأنا أرتدى قميصاً وبنطلونـــاً فقـــط ، فقد كان الجو فى بيروت المدينة حاراً حين خرجـــت مـــن فندقى فى الصباح .. لذا فقد بدأت البنات يصوصون من البـــرد .. ولم ينقذنا إلا دعوة " ليلى " لنا لزيارة كازينـــو وفـــنـــدق (البستان) فى أعلى الجبل ، الذى تملكه وتديره " ميرنـــا البســـتانى " إبنـــة

المليونير اللبنانى الأشهر " إميل البستانى " الذى سقطت به طائرته الخاصة فى خليج بيروت بعد دقائق من إقلاعه بها منذ عدة سنوات

عندى موعد آخر مع " ليلى رستم " اليوم مساءً .. فقد دعتنى لمشاهدة التليفزيون الملون فى بيروت .. وهكذا ألتقى بـ " ليلى رستم " ٣ مرات فى ثلاثة أيام ، وكنا ونحن فى القاهرة لا نلتقى إلا كل سنة مرة !! ..

صديقتى

الغزاوية

خِتَام الشوا تدعونى إلى الإفطار على مائدتها اليوم ، آخر إفطار لى فى بيروت وغداً سأصوم بقية شهر رمضان فى القاهرة .. وقبلت الدعوة على الفور لأننى منيت نفس بأكلة لبنانية أو على الأقل أكلة فلسطينية أو حتى غزاوية .. تصورت أن " ختام " ستصنعها لى بيديها .. لكننى لم أكن أتصور أن " ختام " ستدعونى للإفطار فى كافيتريا (الشروق) القريبة من الجامعة ومن بيت الطالبات فى الوقت نفسه .. على أى حال فقد خرجت من هذه الدعوة بلقطة صحفية ظريفة : هى أن " عادل " الجرسون الأنيق الوسيم ذو الجاكت الحمراء الذى كان يخدم علينا أثناء

الإفطار كان طالباً مصرياً يدرس فى كلية الزراعة بجامعة بيروت العربية ، ويعمل جرسوناً فى هذه الكافيتيريا فى وقت فراغه من المحاضرات لينفق على نفسه أثناء دراسته .. " عادل " نموذج أهديه إلى شلة الطلبة المصريين الذين فضحونا هنا حين اشتركوا فى عصابة لسرقة المحلات التجارية فى مدينة (صيدا) القريبة من بيروت ، وكانت حجتهم حين كمشهم – قبض عليهم – البوليس اللبنانى هى أنهم : " يجمعون مصاريف الدراسة " !! .. يادمكم البارد الصفيق !! ..

بعد

الإفطار

كان لا بد وأن أسرع جداً لألحق بموعدى مع " ليلى رستم " فى مبنى تليفزيون بيروت .. فقد دعتنى ومجموعة من الأصدقاء والزملاء المصريين الذين تصادف وجودهم فى بيروت هذه الأيام لمشاهدة عرض خاص أمر بإجرائه لنا خصيصاً زوجها " منير طقشى " مدير عام التليفزيون اللبنانى .. وكانت " ليلى " هى مضيفتنا التى استقبلتنا فى التليفزيون بحكم أنها مصرية مثلنا .. كانت معنا ضمن مجموعة الضيوف مذيعة التليفزيون المصرية "

نفيسة عابد " التى نجحت ضمن آخر مجموعة من المذيعات وظهرت على الشاشة وقدمت عدداً من البرامج فعلاً ، لكنها لم تستطع أن تواصل ، فقد أرهقها العمل فى التليفزيون وأربك حياتها خصوصاً وأنها كانت ست بيت متفرغة لزوجها وأولادها ولم تعمل منذ تخرجها فى الجامعة ، فرفعت يديها واستسلمت وفضلت أن تترك التليفزيون وأضواءه لتستكين إلى حياة البيت مرة أخرى ..

والتليفزيون الملون دخل لبنان مع نهاية عام ١٩٦٧ .. ورغم مرور ٤ سنوات على الإرسال الملون إلا أن عدد أجهزة التليفزيون الملونة التى تستقبل الإرسال الملون فى البيوت لا يزيد عن ٤٠٠ أو ٥٠٠ جهازاً فقط ؛ بينما عدد الأجهزة العادية التى تستقبل الإرسال العادى الأسود والأبيض يصل إلى ٣٠٠.٠٠٠ جهاز .. لذا فالتليفزيون اللبنانى أيضاً من ناحيته يذيع البرامج الملونة بغير تحديد دقيق ، أحياناً يذيع ساعتين برامج ملونة وفى يوم آخر ساعات أكثر ، وفى أيام عديدة لا يذيع برامج ملونة على الإطلاق .. المهم أن عدد ساعات الإرسال الملون فى الشهر يتراوح بين ٣٤ و ٤٠ ساعة فقط .. والمعروف أن جهاز التليفزيون الملون فى البيوت يمكنه أن يستقبل نوعى الإرسال : العادى والملون ، أما الجهاز العادى المعروف لنا فى مصر الآن فلا يستطيع إستقبال

البرامج الملونة : تظهر على شاشته صحيح ، لكنها تظهر باللونين الأسود والأبيض فقط .. وتليفزيون بيروت يستعمل نفس الطريقة التى سوف نستعملها هنا فى مصر عند إدخال التليفزيون الملون ، وهى الطريقة الفرنسية (سيكام) .. وسعر الجهاز الذى يستقبل الألوان هنا بين ٢٥٠٠ / ٣٠٠٠ ليرة أو ما يساوى بين ٦٢٥ / ٧٥٠ جنيهاً مصرياً ..

وكنت أتصور أن الفنان الذى يشترك فى تصوير برامج ملونة تذاع فى فترة الإرسال الملون يتقاضى أجراً أكبر مما لو كانت ستذاع فى الفترات العادية السادة ، وكذلك كنت أعتقد أن المعلن الذى يذاع إعلانه فى فترة الإرسال الملون يدفع أكثر ؛ لكن إتضح ان تصورى وظنى كان خطأ فى الناحيتين !! ..

لـــم
تكــن

زيارتى للتليفزيون الملون هى آخر مواعيدى الليلة .. باقى لدىّ موعد آخر سيستمر من الساعة ٩.٣٠ مساءً إلى منتصف الليل : الفنانة المصرية " هالة فاخر " والفنان اللبنانى " شوشو " دعيانى الليلة لمشاهدة المسرحية التى يشتركان فيها وإسمها (جوا

وبرة) .. المسرحية مأخوذة عن رواية " موليير " الشهيرة (مقالب سكابان) نقلها الى الجو اللبنانى – أو (لبننها) كما يقولون هنا – السيناريست المصرى خريج معهد السيناريو فى القاهرة " فارس يواكيم " الذى إستقر فى لبنان منذ عدة سنوات ووجد حظه هنا .. تصورت أن وجود الطالبة المصرية " ماجدة حسنى " معى فى مشاهدة المسرحية ستكون عوناً لى على شرح ما يغمض علىّ فهمه من اللهجة اللبنانية ، بحكم أن هذا هو عامها الثانى فى بيروت .. لكن حين مضت نصف ساعة من بدء المسرحية والناس مسخسخة من الضحك تكاد تستلقى على ظهرها – وماجدة تشاركهم – وأنا قاعد (مِبَـلِـم) مش فاهم ولا حاجة أبداً .. أضطررت إلى أن ألفت نظرها بأدب شديد ولباقة إلى أننى مش فاهم حاجة أبداً ، فردت علىّ وهى بترفص من الضحك : " يعنى هو انا اللى فاهمة حاجة " !! ..

صحيح أننى لم أفهم كثيراً من حوار المسرحية المعروضة أمامى فى نصف الساعة الأولى ، لكن تمثيل " شوشو " وطريقة تواجده فوق خشبة المسرح ممتازة جداً فعلاً .. خليط من الكوميديان الفرنسى " فيرناندیل " و" نجيب الريحانى " و " لويس دى فينيس " و" جاك ليمون " .. كوميدياه ليست الهنكرة والتهريج والجرى

والبرطعة على المسرح واللزق على القفا والضـــرب بالشـــلاليت ؛ إنما الحركة الهادئة المعبرة المدروسة التى تنـــدهش لهـــا وأنـــت تشاهدها ولو حاولت أن تقلدها فلن تعرف .. السهل الممتنـــع .. " هالة فاخر " أيضاً كان وجودها ملحوظا على المسرح بشدة أكثر من أى ممثلة من الممثلات اللبنانيات اللاتى اشتركن فى المســـرحية .. لست متحيزاً لها ولكن هذه هى الحقيقة .. فقد كانت طبيعيـــة جـــداً وتمثل وتتحرك ببساطة وبسهولة وانطلاق وخفة دم مصرية ..

" فارس يوكيم " و" شوشو " لـــم يأخـــذا (مقالـــب ســـكابان) ويعرضاها كما هى ، ولم يكتفيا بتحويلها إلى اللهجة اللبنانية فقط ؛ إنما أيضاً حولاها إلى (الجو) اللبنانى السياسى والإجتماعى السائد وقت عرض المسرحية ، فحفلت بالغمزات واللمـــزات والقفشـــات السياسية الصريحة المباشرة اللاذعة التى تنتقد كل مظاهر الفســـاد فى مجتمع لبنان السياسى والإجتماعى .. مثلاً ممثل يسأل آخر : " مالك زعلان قوى كده ليه !؟ ..أعطيت حديث فى التليفزيون !؟ " ، أو حين يقول " شوشو " على لسان بطل المسرحية : " إحنـــا بلـــد صناعى .. عندنا صناعات ثقيلة : الجاسوسية والتهريب والسياســـة .. وعندنا صناعات خفيفة : الدعارة والأنبجـــة – المنظرة – " ، أو : " خفنا نستورد الخيار من أمريكا أو روسيا حد يزعـــل .. قلنـــا

نجيبه من باندوندج " !! ، أو : " فــلان بيشتغل حرامى " .. " فين !؟ " .. " فى وزارة المالــيــة " ، أو : " إحنا بنسميه تهريب ، لكن الناس اللى فوق بيسموه علاقات عامة " ، أو : " إحنا فــى بلــدنا عايشين على التهريب " أو : " هو صار فيه زواج وإلا إكليل !؟ .. بيفوتها على شقة فى الحمراء وخلاص ؛ تم الزواج " ، وحين يدخل شرطى مسرعا يبحث عن لص هرب منه ، فيسأل الموجودين على المسرح : " شفتوا الحرامى !؟ " ، فيرد " شوشو " على الفور : " لا .. هو اللى شافنا " !! يقصد الشرطى نفسه !! ..

ومع كل ذلك فقد قال لى " شوشو " بعد نهاية المسرحية أنه لــم يتعمد أن يجعل المسرحية تبدو سياسية أو يحاول أن يجعلها تتدرج تحت مايسمى (المسرح السياسى) ؛ لكنه رأى فقــط أن يطعمهــا بلمزات ونغزات سياسية وإجتماعية هنا وهناك فقط من باب تعرية المجتمع اللبنانى أمام نفسه ، لكن أكثر من ذلك مافى .. " مــافى " يعنى مفيش !! ..

أستاذنكم ..

إنتــهت

صعلكتى فى بيروت .. سأنام بدرى الليلة .. الساعة الآن الثالثــة

صباحاً .. فإن سفينتى المصرية (الجزائر) التى سأعود عليها إلى الإسكندرية عاملة زى الشريك المخالف : ونحن قادمون إلى بيروت قامت من الإسكندرية متأخرة عن موعدها المحـــدد ٤ ســـاعات .. وعدت الليلة إلى فندقى لأجد رسالة تنتظرنـــى تقـــول أن الســـفينة ستبحر غداً مبكرة عن موعدها المحدد بـــــ ٤ ســـاعات أيضـــاً .. الظاهر بتعوض ..

تحياتى من بيروت .. آخر مرة من بيروت .. نلتقى فى القاهرة ..

حسين قدرى

بيروت – ديسمبر ١٩٧١

حـــســـين
قـــــــــدرى ..

الإسم بالكامل " حسين قدرى محمد محمود " ، وإسم الشـــهرة " حسين قدرى " ، وهو إسمه الشخصى ، فوالده هو " محمد محمود " وليس " قدرى " .. مصنف ككاتب أدب رحلات لأن معظم كتبـــه المنشورة – ٣٠ كتاباً ، حتى الآن – فى أدب الرحلات ، ما عـــدا كتابين فقط : كتاب عن الزعيم جمال عبد الناصر كتبه بعد وفاته – وفاة جمال عبد الناصر طبعاً وليس وفاة حسين قدرى – ومجموعة قصص للأطفال كتبها هدية لابنته فى عيد ميلادها العاشر ..

وُلد فى مدينة بلبيس فى محافظة الشرقية فى أول يناير ١٩٣٤ ، لأبٍ مصرى وأم نصف تركية شديدة المصرية .. وهو الوحيد بين أخوته الثلاثة الذى ولد خارج القاهرة ، لأن الأب كان موظفاً يتنقل بين أقاليم مصر .. وعاش " حسين قدرى " فى بلبيس حتى دخل المدرسة الإبتدائية ، فقضى سنة أولى إبتدائى فقط فى مدرسة بلبيس الإبتدائية الأميرية ، وكان جاره فى نفس (التختة) فى فصل أولى أول هو التلميذ الصغير " مجدى يعقوب " – الـ " سير " مجدى يعقوب جراح القلب العالمى فيما بعد – قبل أن تنتقل الأسرة إلى القاهرة مع بداية الحرب العالمية الثانية .. وحين حصل على الشهادة الإبتدائية كان ترتيبه السابع على (المملكة المصرية) فلم يكن إسمها (جمهورية مصر) فى ذلك الحين .. وكان بينه وبين الأول ٣ درجات فقط ، وحصل فى مادة الرسم على ٤ درجات من ٢٠ ، وكانت الـ ٤ درجات هذه هى النهاية الصغرى لأنه كان – ولا زال – أخيب بنى آدم فى العالم فى الرسم ، ولو كان شاطر فى الرسم شوية وحصل على ٨ درجات فقط من ٢٠ لكان ترتيبه الأول على الشهادة الإبتدائية ودخل تاريخ الأسرة شئٌ يُفتخر به ..

أخذ حب القراءة عن أمه التى كانت مكتبتها الصغيرة ،

الرومانسية كلها ؛ أهم ركن فى البيت ، وكانت (حواديت قبل النوم) لطفلها الصغير هى (ماجدولين) أو(تحت ظلال الزيزفون) و(غادة الكاميليا) و(أنا كارنينا) و(مدام بوفارى) و(نساء صغيرات) و(ذهب مع الريح) و(روميو وجولييت) و(نانا) و(سيرانو دى برجراك) و(الفرسان الثلاثة) .. وحين كان فى الثانية عشرة من عمره قرأ كتاب (أمريكا الضاحكة) لـ " مصطفى أمين " فانبهر به وبأسلوبه ؛ فقرر أن يكتب كِتاباً مثله حين يكبر .. وهكذا كان ..

فى مرحلة الدراسة الثانوية دَرَسَ له عدد من المدرسين أصبح معظمهم نجوماً فيما بعد : " نور الدمرداش " درس له اللغة الإنجليزية ، " على أحمد باكثير " درس له اللغة العربية ، " نظيم شعراوى " كان مدرس التربية الرياضية ، ودرس له مادة التاريخ " الأستاذ " أحمد حسين الصاوى " الذى أصبح بعد ذلك " الدكتور أحمد حسين الصاوى " أشهر أساتذة الصحافة أكاديمياً فى العالم العربى .. وكان الفنان " كمال الشناوى " مدرس الرسم فى مدرسة الجيران !! ..

عاش طفولته وصباه ومطلع شبابه فى حى السيدة زينب الذى يعتبره أجمل وأعرق أحياء مدينة القاهرة ، وتنقل بين بيوته

القديمة العريقة فى (شارع التلول) و(درب البهلوان) و(حارة البهلوان) .. ولازال يحتفظ حتى الآن بصداقات الطفولة والصبا التى نشأت معه فى السيدة زينب ، ولازال رفاق شِلَتِه القديمة يجتمعون فى بيته القاهرى مساء الخميس كل أسبوع حتى الآن كلما كان فى أجازة فى مصر .. وفى حى السيدة زينب إجتذبته الرياضة فى مرحلة مبكرة من حياته قبل أن تجتذبه الصحافة والأدب ، فبدأ يلعب كرة السلة فى (نادى السيدة زينب لأبناء الشعب) الشهير بـ (نادى شفشق) نسبة إلى رئيس ومؤسس النادى لاعب كرة السلة الدولى " محمد رشاد شفشق " ، ومنه إنطلق إلى النادى الأهلى فنادى الزمالك فالنادى الأهلى مرة أخرى ، حيث رأس فريق كرة السلة فى الناديين لسنوات طويلة ، حتى أخذته الصحافة تماماً من الرياضة بعد تخرجه بـ ٤ سنوات ..

تخرج عام ١٩٥٤ ، وعمل مهندساً لمدة ٤ سنوات .. ويقول عن نفسه أنه لو كان قد استمر فى العمل فى الهندسة لكان قد حصل على جائزة الدولة التقديرية كأخيب مهندس فى مصر ، ويمكن فى العالم .. حتى توفيت أمه التى كان يحبها كثيراً ويحترمها كثيراً ولم يكن ليعصى لها أمراً ، ولو كانت قد طلبت منه أن يحمل جبل المقطم على كتفه وينقله من القاهرة إلى أسوان لفعل دون تردد لكى

يرضيها ، ولم تكن أمه تريده أن يتحول من مهندس إلى صحفى .. وفى اليوم التالى لوفاتها طلق الهندسة بالثلاثة وأصبح صحفياً محترفاً ..

كانت بداية تعلقه بالصحافة من خلال مجلة أطفال إسمها مجلة (البلبل) وهو تلميذ صغير عمره ١٢ سنة ، كتب فيها صفحة بعنوان (الركن الثقافى) كانت كلها ترجمات عن مجلات الأطفال الإنجليزية .. واستمر ذلك طيلة مرحلة دراسته الثانوية .. ثم كانت البداية الحقيقية كصحفى محترف فى عام ١٩٥٨ فى مجلة (التحرير) التى كانت تصدر عن (دار التحرير / الجمهورية) .. وعمل وكتب فى جميع الصحف والمجلات المصرية ، ووكالة أنباء الشرق الأوسط .. حتى استقر فى النهاية فى مجلة (الإذاعة والتليفزيون) لمدة ٢٨ سنة ، وفيها إكتشف نفسه ككاتب أدب رحلات ونشر فيها معظم رحلاته الصحفية التى تحولت إلى كتب صنعت شهرته ووضعت إسمه ضمن قائمة أشهر كُتّاب أدب الرحلات فى مصر والعالم العربى .. وفى عام ١٩٩٤ إعتزل الصحافة وتفرغ لكتابة المزيد من الكتب ..

فى عام ١٩٧٧ – بعد ٢٠ سنة من إعداد وتقديم برامج فى إذاعات القاهرة – أصبح أول مراسل للإذاعة المصرية فى أمريكا

ثم فى أوروبا كلها ، وقدم (حسين قدرى يحييكم من لندن) أسبوعياً الذى استمر ١٦ سنة ، حتى – مرة أخرى – إستغرقته الكتابة فترك الراديو .. ومن وقتها وهو يعيش فى إنجلترا حتى الآن – ٣٨ سنة – وحصل على الجنسية الإنجليزية عام ١٩٨٣ دون أن يتنازل عن جنسيته المصرية .. وفى إنجلترا عاش أهم تجربة فى حياته الصحفية : تجربة الهجرة ، سجلها فى عدة كتب : (مذكرات شاب مصرى يغسل الأطباق فى لندن) و(مذكرات مهاجر مصرى فى لندن) و(حكايات لندنية) و(حكايات أوروبية) و(ليست لندن وحدها) ، وقبلها عاش أخطر تجربة فى حياته الصحفية والأدبية حين عاش على سطح المحيط الأطلنطى فى سفينة صيد سمك لمدة شهرين كاملين لم ير فيهما إلا الماء والسماء والسمك .. وسجلها فى كتابه (راكبان على السفينة) ثم (يوميات سفينة مجنونة) ..

فى لندن عمل أيضاً فى الصحافة العربية التى كانت قد بدأت تصدر فى لندن بشكل مكثف فى أواخر السبعينيات : نائب رئيس تحرير جريدة (العرب) اليومية ، مدير التحقيقات الصحفية فى جريدة (المنار) الأسبوعية ، محرر صفحات الفن فى مجلة (الدستور) الأسبوعية ، مدير تحرير مجلة (الحوادث) الأسبوعية ، المحرر الأول لمجلة (المسلمون) الأسبوعية ، مراسل مجلة

(الحياة السياحية) فى لندن ، وكانت المجلة تصدر من بـــاريس ، وكاتب فى مجلة (الشرق الأوسط) الأسبوعية فى لندن ..

تزوج ٣ مرات ، كلهن مصريات ، توفيـــت زوجتـــه الأولـــى الصحفية ، وزوجته الثالثة دكتورة الإقتصاد ..

عضو نقابة الصحفيين المصريين ، واتحاد كُتاب مصر ، ونادى القصة .. وعضو نقابة الصحفيين الإنجليز ، عضو اتحاد الصحفيين العرب ، واتحاد الصحفيين العالمى ..

*** عن (موسوعة أدباء مصر) . القاهرة – ٢٠٠٠

كتبه المنشورة :

• رحلة إلى جزر كناريا	دار المعارف – ١٩٧٣.
• مذكرات شاب مصرى يغسل الأطباق فى لندن	دار المعارف – ١٩٧٤. طبعة ثانية – ١٩٧٥. طبعة ثالثة – ٢٠٠٧
• رحلة إلى دولة ترانزستور	دار الشعب – ١٩٧٥.
• راكبان على السفينة	أخبار اليوم – ١٩٧٦ طبعة ثانية – ١٩٩٧.
• هو .. والذين كانوا معه	القاهرة للثقافة العربية –١٩٧٦ وطبعة ثانية – ٢٠٠٠. وطبعة ثالثة – ٢٠٠٧
• هروب إلى الفضاء (رواية من الخيال العلمى)	دارالمعارف – ١٩٨٢ طبعة ثانية – ١٩٩٩. طبعة ثالثة – ٢٠٠٧ طبعة رابعة – ٢٠١٥
• مغامرات خالد (مجموعة قصص أطفال)	دار الهلال – ١٩٨٥. طبعة ثانية – ١٩٩٨. طبعة ثالثة – ٢٠٠٧
• مذكرات سائح مصرى	دار المعارف – ١٩٩٢.

فى مـــصـــر	طبعة ثانية – ٢٠٠٧
• يوميات سفينة مجنونة.	دار التعاون – ١٩٩٣.
• حكايات أوروبية ..	دار الشعب – ١٩٩٦.
• حكايات لندنية ..	الثقافة الجماهيرية – ١٩٩٧
• مذكرات مهاجر مصرى فـــى لـــنـــدن	دار الأمل – ٢٠٠٥
• حكايات صحفية .	دار الأمل – ٢٠٠٦
• عبد الناصر .. والذين كانوا معه	كتاب الجمهورية – ٢٠٠٧
• أيام من حياتهم ..	كتاب الجمهورية – ٢٠٠٨
• أيام الزمن الجميل : بيروت ٧١ / لندن ٧٣ ..	كتاب الجمهورية – ٢٠٠٨
• ليست لندن وحدها ..	دار المعارف – ٢٠١٠
• لعبة الأيام ..	
• حكاية صورة قديمة	الهيئة العامة للكتاب – ٢٠١١
• حكايات من الشرق والغرب	كتاب الهلال – ٢٠١٣
• جمهورية بريطانيا العربية	كتاب الجمهورية – ٢٠١٥
• صعلكة فى بيروت ٧١	إتحاد الكتاب – ٢٠١٥
• حوارات حسين قدري	دار يسطرون – ٢٠١٥
• الكتاب التذكاري (كتاب حسين قدري)	دار يسطرون – ٢٠١٥

كتب تحت للطبع ..

- فضفضة حسين قدرى ٥٠ سنة صحافة
- بهيجة .. بنت الباشا الوزير
- الرحلة العذراء
- أيام من حياتهم .. الجزء الثانى و الثالث و الرابع

كتب جاهزة للنشر :

- فى الحب .. وفى غير الحب ..
- مذكرات مهاجر مصرى .. فى مصر ..
- حكايات أوروبية .. الأجزاء الثانى والثالث والرابع ..
- لارا .. إعترافات إمرأة متزوجة .. (رواية باللغة الإ نجليزية)
- حكاية بنت إسمها مخالى .. إعترافات إمرأة مطلقة .. (رواية باللغة الإنجليزية)
- رسائل من المهجر ..
- المهاجرون ..
- أوراق قديمة .. صفحات من الذكريات والمذكرات ..
- ١١٧ يوم فى الصحراء ..
- يوميات أمريكية ..
- ٣٥ سنة فى المهجر .. إنجلترا ..
- مذكرات زوجة أجنبية فى مصر ..
- الصندوق الأسود .. (رواية من الخيال العلمى) ..

ساحة الشهداء هى أهم ميادين بيروت .. مثل ميدان التحرير عندنا فى القاهرة ..

ساحل بيروت وصخرة الروشة الشهيرة .. التى اشتهرت بأنها صخرة إنتحار العشاق فى بيروت !! ..

إطلالة من أعلى الجبل على بيروت الجميلة .. هل تعود أيام لبنان الجميلة !؟ ..

إذا ذهبت إلى بيروت ولم تزر مغارة (جعيتا) فأنت
لم تذهب إلى بيروت ولم تر لبنان

رحلة التليفريك التى تحبس الأنفاس .. وهذه الإبتسامات لم تظهر إلا بعد النزول من التليفريك .. ليلى صالح (آخر ساعة) وفتحى الإبيارى (أخبار اليوم وقتها ، مجلة أكتوبر الآن) وحسين قدرى ..

ليلى صالح : إطلالة من أعلى الجبل على بيروت الجميلة .. هل تعود أيام لبنان الجميلة !؟ ..

ليلى صالح أغمضت عينيها وراء النظارة السوداء الكبيرة طوال رحلة التليفريك المعلق فى الهواء ، ولم تفتحهما إلا بعد أن نزلت منه ووضعت قدمها على الأرض !! ..

الأردنية سعاد شاهر ضامن تطل على بيروت من أعلى الجبل .. الجمال يطل على الجمال ..

هالة فاخر فى مسرح شوشو (حسن علاء الدين) ..

هالة فاخر وماجدة حسنى فرج الطالبة المصرية فى جامعة بيروت العربية ..

اللبنانية الجميلة نهى بعلبكى ، سكرتيرة وكالة [أورينت برس] الصحفية ..

أنور الجمل مع فتحى الإبيارى من أخبار اليوم وحسين قدرى من مجلة الإذاعة والتليفزيون ..

أنور الجمل .. المستشار الإعلامى بالسفارة المصرية فى بيروت مع وفد الصحفيين المصريين :
رجاء وكاميليا ولطفى والأسيوطى من دار الهلال ، ليلى صالح من آخر ساعة ، الرسامة نادية فايز ، حسين قدرى ..

سائق تاكسى فى بيروت .. قطعاً هو الآن ، مع التقدم فى (الحجم) – سائق قطار توربينى !! ..

كل هؤلاء (الطالبات) الجميلات قد قاربن سن المعاش الآن ..
واللاتى تزوجن منهن قطعاً لديهن الآن (حفيدات) يقاربن أعمارهن فى هذه الصور منذ ٤٢ سنة !! ..

التليفزيونية المصرية الشهيرة " ليلى رستم " صاحبة أشهر برنامج قدمه التليفزيون المصرى حتى الآن : [نجمك المفضل] .. وبالمناسبة : الفنان الكبير زكى رستم ، عمها ..

الكتيبة الناعمة ، باستثنائى أنا طبعا : ليلى رستم مع خماسى جميلات جامعة بيروت العربية :
المصرية ماجدة حسنى فرج – الأردنيتان سعاد ور
يما شاهر ضامن – اللبنانية مى محمصانى – الغزاوية ختام الشوا ..

ما أظرف أن تلعب دور فرعون مع كل هؤلاء الوصيفات الجميلات : سعاد وريما ومى وختام وماجدة..
ولو فى الصور فقط !! ..

يبدو أن الجامعات فى بيروت تجرى (كشف جمال) للمتقدمات للإلتحاق بها ..
كل هذا الجمال فى جامعة واحدة فقط من جامعات بيروت الثلاث ..

هذه الصحبة الجميلة الحميمة والسعادة لم تستمر للأسف إلا أياماً قليلة .. السعادة بالنسبة لى أنا طبعاً ..

٤ صحفيين مصريين فى رحلة واحدة إلى بيروت : ليلى صالح وفتحى الإبيارى وسمير سويلم من أخبار اليوم وحسين قدرى من مجلة الإذاعة والتليفزيون .. بعد ٤٢ سنة من هذه الصور : ليلى صالح توفيت فى كندا – فتحى الإبيارى توفى فى الإسكندرية – وسمير سويلم توفى فى لندن !! ..

فتحى الإبيارى وحسين قدرى فى معالم بيروت ..

الممثلة المصرية زبيدة ثروت

المطربة اللبنانية فيروز

الممثل اللبانى شوشو / حسن علاء الدين / ذو الشوارب الطويلة جداً

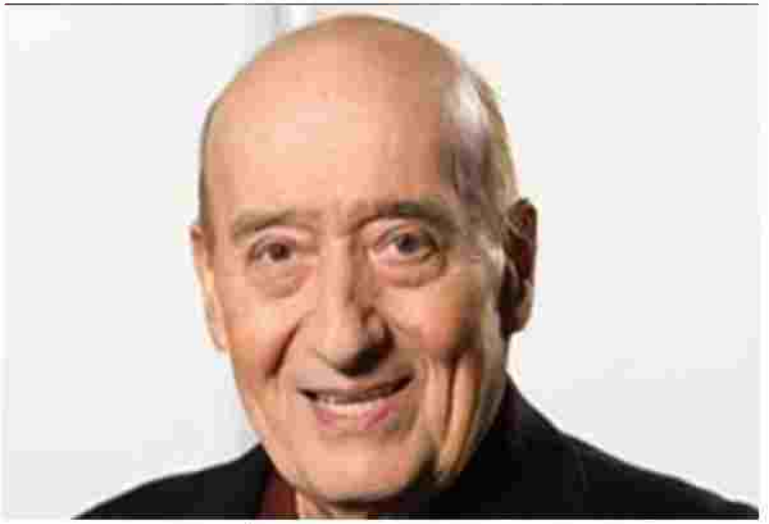

المطرب اللبنانى وديع الصافى

عادل هيكل حارس مرمى النادى الأهلى القديم

الفهرس

الإهداء	٣
تقديم بقلم الكاتب الكبير محمد جبريل	٥
مقدمة الطبعة الأولى	١١
مقدمة الطبعة الثانية	١٣
قاع المدينة ..	١٥
ليلى .. والأزمة !!..	٣٥
الهاتف عند الناطور !!..	٤٥
بنت مصرية .. وحدها فى بيروت !!..	٥٧
ملوك بيروت .. وأفراح وديع الصافى !! ..	٦٧
فلفل وكمون وشطة .. فى تليفزيون بيروت !! ..	٨٣
فردوس ولواحظ وعيوشة .. " أرتشتات " !!..	٩٩
حسين قــدرى ..	١١٩

للتواصل مع الكاتب :

حسين قدرى ..

مصر : برج رمسيس - ميدان رمسيس - القاهرة

تليفونات : ٢٥٧٤٠٤٤٠ (٠٠٢٠٢)
فاكس : ٢٥٧٥٠٣٥٠ (٠٠٢٠٢)
٤٣٣٣٤٠٠ (٠٠٢٠٣)
٤٣٣٠١٠٠ (٠٠٢٠٣)
موبايل :
٠١٠٠ _ ٥٢٤٥٥٣٨
٠١١١ _ ٩٥٢٤٠٩٠

London :

Mr Hussein Kadry.
46 , Columbia Point
Canada Estate – Rotherhithe
LONDON SE16 7BG .

Telphones :

(0044) 0232 1387
(0044) 0771 210 1616
(0044) 0777 5523349

e-mail : husseinkadry34@gmail.com